السلف بين القديم والجديد

تأليف

الأستاذ/ فالح بن مهدي آل مهدي

الطبعة الأولى

عام ١٣٨٩ هـ

طبع على نفقة

عبدالعزيز ومحمد العبدالله الجميح

وقفا لله تعالى

عبد الرحمن العلي الشـ

« خطاب شكر وتنبيه »

وجه نائب رئيس الكليات والمعاهد العلميـة ، صاحب الفضيلـة الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ خطابا الى الشيخ الميدانى أطلعنى عليه الشيخ عبد العزيز حينما تحدثت مع فضيلته عن قيامى بكتابة تعقيب على كتـاب (العقيدة الاسلامية وأسسها) وكتاب (فصول اسلامية) وقد رغبت اليه أن أسجل نص الخطاب فى هذه الرسالة فأذن لي بذلك .

بسـم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الشيخ الجليل عبد الرحمن حبنكة الميدانى حفظه اللـه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد تسلمت من يدكم الكريمة كتابكم القيم الذى ألفتموه ، نفع الله بكـم الامة وشكر لكم صنيعكم وبارك فى جهودكم ، واني لأشـــكركم على هديتكم التى زانت مكتبتى فكانت درة حبات عقدها الثمين . ولما كانت المحبة فى الله تقتضى بذل النصح فانى أخوكم الذى يكن لكم ولوالدكم المجاهد الصـابر كل احترام وتقدير وأجدنى مدفوعا لابداء النصح ، فقد قرأت بعضـــا من فصول الكتاب وأعجبت به ودعوت الله لكم بالمـزيد من التوفيق . غير أنى لاحظت أنكم سلكتم مسلك أهل التأويل فى باب صفات الله تعالى . وان كنتم حكيتم مذهب السلف ولاعتقادى فى غزارة علمكم وصفاء فهمكم وتحريكـم للحق بدليله ، فانى أرجو أن تقرأوا ماكتبه الامام المحقق ابن تيميـة قراءة تدبر وتفهم ومناقشة ، وانى أحيلكم على المجلد السـادس من مجمـــوع الفتاوى صفحة ٣٥١ وغيرها مما كتب ، وأنا على يقين بأنكم سوف تجدون الحق ابلج تعضده البراهين من كتاب الله وسنة رسوله ولغة القرآن ومـا درج عليه سلف هذه الامة وأئمتها وما أقره الامام أبو الحسن الاشعرى فى كتابه الا بانه فى أصول الديانة الذى ألفه فى آخر حياته . وأرجو أن يكـون لك من ثاقب نظرك وعميق ادراكك مايكشف لك الغمة . بارك الله فى عملـك ووفقك لسلوك السبيل السوى . والسلام عليكم ورحمة الله .

أخـوك

عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم

« المقدمة »

بســم الله الرحمن الرحيــم

الحمد لله وبعد : فبتقدير من الله تعالى ومشيئة ثم بلفتت نظر من عميد كلية العلوم الشرعية بالرياض الشيخ عبد الله بن ابراهيم آل فنتــــوخ اطلعت على كتاب الاستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني الموسوم (بالعقيدة الاسلامية وأسسها) وكانت نسخ منه قد وصلت الى مكتبات الكليــة ، وفى أثناء قراءتى لهذا الكتاب استوقفتنى شطحات للمؤلف لايجــوز السكوت عليها ، وزلات لايسوغ التغاضى عنها ، فرأيت أن من الواجب التنبيه على ذلك والتعقيب عليه بما يكشف النقاب ويبين وجــه الصــواب مقتصــراً فى ملاحظاتى على مايتعلق بباب الأسماء والصفات حيث انه الجانب المهــم فى الامر ، وقد ضممت الى ذلك شطحات مماثلة وردت فى كتـــاب (فصول اسلامية) للاستاذ علي الطنطاوي أو جاءت فى أحاديثه وتعليقاته وبعون الله وتوفيقه شرعت فى التحضــير للموضوع وجمعت مايســر اللــه جمعــه من البحوث وكان ثمرة ذلك أن كتبت هــذه الرســـالة « السلف بين القـــديم والجديد » .

فالح بن مهدى بن سعد آل مهدي

الأستاذ بكلية العلوم الشرعية

الرياض / فى غرة صفر عام ١٣٨٩ هـ

نص ماجاء فى كتاب العقيدة الاسلامية وأسسـها :

أ ـ « النصوص المتشابهات فى صفات الله تعالى » ٠

كيف نفهم ماورد فى القرآن والسنة من نصوص يوهم ظاهرها تشبيه الله سبحانه بالمخلوقات ٠

جاء فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة نصوص تنسب الى الله تعالى صفات يوهم ظاهرها أن الله يشبه فى هذه الصفات خلقه كالنصوص التى تثبت أن لله يدا وأن لله عينا وأن لله قدما وأن الله استوى على العرش ونحو ذلك ٠

والسؤال الذى يعترضنا هنا هو :

هل هذه الامور المنسوبة الى الله تعالى فى القرآن الكريم والسنة صفات لله تعالى مستعملة على حقيقة ألفاظها المعلومة منها ؟؟ أو صفات مستعملة فى حقائق أخرى مجهولة لنا مسماة فى لسان الشرع بهذه الأسماء ؟؟ أو أنها مستعملة بمعان غير المعانى الظاهرة منها على وجه من وجوه المجاز ٠ ونحن نستطيع أن ندرك هذه المعانى ٠٠ وفى هذه الاحتمالات الثلاثة حصر لجميع الاحتمالات الفكرية التى يمكن أن ترد على مثل هذه النصوص ، فهى :

١ ـ اما حقيقة فى ظاهر مدلولها اللغوى ٠

٢ ـ واما حقيقة فى الاصطلاح الشرعى لمعنى مجهول لنا ٠

٣ ـ واما مجاز تركت فيه حقيقة وضع اللفظ اللغوى الى معنى آخر بينه وبين معنى اللفظ فى الوضع اللغوى علاقة من علاقات المجاز ٠

أما الاحتمال الاول :

وهو أنها مستعملة فى حقيقتها الظاهرة منها والمعلومة لنا فهو احتمال باطل قطعا ٠

ب ـ وأما الاحتمال الثانى :

وهو أن هذه النصوص مستعملة على وجه الحقيقة لا المجاز استعمالا شرعيا فى معان مجهولة لنا ، وذلك بحسب الاصطلاح الشرعى ، أى : ان لله تعالى صفات خاصة ، فمنها مثلا صفة اسمها « اليد » حملا للنص على ماورد فيه دون تأويل ، ولكن مع نفي المعنى المعروف الذى لايليق أن يكون صفة للخالق سبحانه ، ومنها صفة اسمها « الاستواء » وصفة أخرى اسمها « العين » وهكذا الى آخر ماورد من نصوص متشابهة من هذا النوع ، فهى صفات لله تعالى مستعملة فى الاصطلاح الشرعى لحقائق شرعية مجهولة لنا ،

ولا يصح أن يفهم منها معانيها اللغوية حسب الأوضاع اللغوية حتمـــا ٠ وهذا الاحتمال احتمال مرضى لا مانع منه عقلا ولا شرعا ، وقد قال بـــه كثير من أئمة أهل السنة والجماعة ، وهى طريقـــة السلف رضوان اللـــه عليهم ــ وهم علماء الطبقات الثلاث الصحابة والتابعون وأتباع التابعين ــ فى تفسير هذه النصوص ٠

قال أهل التحقيق فى طريقة هؤلاء : هى الطريقة الأسلم ، لأنهـا تعتمـد على تفويض المعنى لله تعالى ، والتسليم له دون تأويل ، مع اجماعهم على أن المعنى المتبادر من هذه الاستعمالات الذى يدل على التجسيم أو الجهـة أو أية صفة من الصفات التى لاتليق بالخالق سبحانـــه غير مراد قطعـا ، لمعارضته لدلائل العقل والنقل القاطعة ، عن محمد بن الحسن قال : اتفق الفقهاء كلهم على الايمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه ٠

وقال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدر الأئمة وساداتهـــا ، وإياها اختار أئمة الفقهاء ، وقادتها ، واليها دعا أئمة الحديث وأعلامهم ، وقال : امام الحرمين أخيراً فى الرسالة النظامية الذى نرتضيه دينا ، وندين به عقداً ، اتباع سلف الأئمة ، فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها ٠

وممن ذهب الى ذلك ابن تيمية ، وابن القيم ، ومن تبعهمـا ، وكثـير من المفسرين كالبغوى والرازى ٠

جـ ــ وأما الاحتمال الثالث : وهو تأويل هذه النصوص لمعان تحتملهـــا بوجـه من وجوه المجـاز المعروفة فى اللســـان العربى ، والتى استعملهـا المصدران الشرعيان القرآن والسنة فى كثير من نصوصهما ، الى أن قال : وعلى هذا النسق يجرى تأويل جميع النصوص التى يوهم ظاهرها نســـبة معان لاتليق بحسب ظاهرها بكمال الألوهية والربوبية ٠

وهذا الاحتمال احتمال مقبول ، لا مانع منه عقلا ولا شرعا اذا كـــان المعنى الذى أول اليه اللفظ موافقا لأصول العقيدة الاسلاميـة ، وقد جـرى على هذا الاحتمال كثير من خلف أهل السنةوالجماعة ، وهو مايسمىبطريقة التأويل لمعنى يحتمله اللفظ وفق أصول اللغـــة العربيـــة واستعمـالاتهـا المشهورة ، وهى طريقـة تخـرج النصوص عن كونهـا من النصوص التى نستطيع أن ندرك منها معانى مقبولة ٠

(« أمثلة مشروحة مما ورد فى القرآن والسنة من نصوص يوهم ظاهرها تشبيه الخالق بالمخلوقات ») ٠

ثم ذكر احدى عشر مثالا ، نقتصر على اثنين منها طلبا للاختصار وبهما يتضح مذهب المؤلف فى ذلك : ــ

د ـ « فى نسبة (الاستواء) الى الله تعالى : قال الله تعالى فى سورة
« فى نسبة (الاستواء) الى الله تعالى : قال الله تعالى فى سورة
الاعراف ٥٤ » (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال تعالى فى سورة « طه » (الرحمن على العرش استوى) وفى هاتين الآيتين نسبة « الاستواء » لله تعالى ٠

وفى ذلك وأمثاله نقول : أما الاستواء بمعنى الجلوس أو مايقرب منه فهو ممنوع عقلا وشرعا ، لما فى ذلك من التجسيم والتشبيه ، فبقي أن نقول باحدى طريقتين : ـ

أ ـ اما أن يكون معنى « الاستواء » من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه كما سبق فى اليد ، وفق طريقة السلف ، فعن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ فى تفسير قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) ٠ الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والجحود به كفر ٠ وعن الامام مالك فيه أيضا : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ٠

ب ـ واما أن نقول : وفق طريقة جمهور من الخلف ، ان « الاستواء » مؤول بمعنى السلطان والاستيلاء ، ويعود الى صفة القدرة ، ويستدلون على ذلك بقول الشاعر العربى :

قد (استوى) عمرو على العراق   من غير سيف ودم مهراق

أى استولى ، وقول الآخر : ـ

فلما علونا (واستوينا) عليهم   تركناهم صرعى لنسر وطائر

أى : استولينا ٠

هـ ـ فى نسبة الفوقية لله تعالى ، قال تعالى فى صفة الملائكة : فى سورة النحل ، « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون » وفى هذه الآية نسبة (الفوقية) لله تعالى ، والفوقية المكانية لايصح اطلاقها على الله تعالى .

فهي : اما من المتشابه ، أو هى فوقية مكانة معنوية ٠

« وهذه الكلمات التى نقلناها من كلام الشيخ الميدانى ، توجد فيما بين ص ٢٥٢ و ص ٢٦٢ ، وفى أثناء ذلك يشرح المؤلف مايقول ، ويبين مايعني ٠

« التعقيب »

أ ـ صاحب كتاب (العقيدة الاسلامية وأسسها) يقرر ، أن فى ظاهر هذه النصوص تشبيها وتمثيلا لله بخلقه فى تلك الصفـــات ، ومن ثم فلا بد من صرفها عن معناها الذى هو ظاهرهـــا ، الى معنى آخـــر ليس هو مقتضى اللفظ ، أو الحكم عليها بأنها غير واضحة المعنى ولا بينة المراد ، رغم كونها بلسان عربي مبين ٠

ومن أجل أن أجيب على هذا الرأى بمادة دســـمة ، يستطيع الباحث المنصف أن يجد فيها مايروي غلته ، ويشفى علته ٠ لا لشىء سوى أن أنوار الوحيين عليها بادية ، وظلمات الشبهات الشيطانية عنها بناحية ٠

أقول من أجل ذلك : أقتطف من كلام العلامة ابن قيم الجوزية ، وشـــيخ الاسلام ابن تيمية ، مايلى مع تصرف يسير : ـ

أولا : تيسير القرآن للذكر ينافى حمله على التـأويل المخـالف لحقيقتـه وظاهره ، فقد أنزل الله الكتاب شـفاء لمـا فى الصدور وهـدى ورحمـة للمؤمنين ، ولذلك كانت معانيه أشرف المعانى ، وألفـاظه أفصح الألفـاظ وأبينها ، وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها ، كما وصفه اللــه تعـالى بقوله : (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفســيراً) فالحق هو المعنى والمدلول الذى تضمنه الكتاب ، والتفسير الأحسن هو الألفاظ الدالـة على ذلك الحق ، فهو تفسيره وبيانه ، والتفسير أصله من البيان والظهور ، ويلاقيه فى الاشتقاق الأكبر الاسفار ومنه أسفر الفجر اذا أضـاء ووضح ، ومنه السفر لبروز المسافر من البيوت ، ومنه السفر الذى يتضمن اظهـــار مافيه من العلم ٠ فلا بد أن يكون التفسير مطابقا للمفسر مفهما له ، ولا تجد كلاما أحسن تفسيرا ولا أتم بيانا من كلام الله سبحانه ، ولهذا سماه اللـه بيانا ، وأخبر أنه يسره للذكر ويسر ألفاظـه للحفظ ، ومعانيـه للفهـم ، وأوامره ونواهيه للامتثال ٠ ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لايفهمها المخاطب لم يكن ميسراً له بل كان معسرا عليه ، واذا أريد من المخـاطب أن يفهم من ألفاظه مالا يدل عليه من المعانى أو يدل على خلافه فهذا من أشد التعسير ، فانه لاشىء أعسر على الامة من أن يراد منهم أن يفهموا كونه سبحانـه لا داخلا فى العالم ولا خارجه ، ولا متصلا بـه ولا منفصلا عنه ولا مباينـا له ، ولا محايثا ، له ولا يرى بالابصار عيانا ، ولا لـه يـد ، ولا وجـه من قوله (قل هو الله أحد) وأن يجهدوا أنفسهم ويكابدوا أعظم المشقة فىتطلب أنواع الاستعارات وضروب المجازات ، ووحشى اللغات ، ليحملوا عليهـا

آيات الصفات وأخبارها ، ويقول : ياعبـادى اعلموا أنى أردت منكـم أن تعلموا أنى لست فوق العرش ، ولا ترفع الأيدى الي ، ولا يعرج الي شيء ولا ينزل من عندى شيء من قولي (الرحمـن على العرش اسـتوى) ومن قولى (يخافون ربهم من فوقهم) ومن قولي (تعرج الملائكة والروح اليه) ومن قولى (بل رفعه الله اليه) ومن قولى (رفيع الدرجـات ذو العرش) ومن قولى (وهو العلى العظيم) وأن تفهموا أنـه ليس لي يدان من قولى (لما خلقت بيدى) ولا عين من قولى (ولتصنع على عينى) فانكم متىفهمتم من هذه الالفاظ حقائقها وظواهرها فهمتم خلاف مرادى منها ، بل مرادي منكم أن تفهموا منها مايدل على خلاف حقائقها وظواهرها ٠

فأي تيسير يكون هناك ، وأى تعقيد وتعسير لم يحصل بذلك ، ومعلوم أن خطاب الرجل بما لايفهمه الا بترجمة أيسر عليه من خطابه بما كلف أن يفهم منه خلاف موضوعه ٠ فتيسير القرآن مناف لطريقة النفاة المحرفين أعظـم منافاة ٠ ولهذا لما عسر عليهم أن يفهموا منه النفي عولوا فيه على الشبـه الخيالية ٠

والتأويل شر من التعطيل ، فانه يتضمن التشـبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص واساءة الظن بها ، فان المعطل والمؤول قد اشتركا فى نفي حقائق الأسماء والصفات ، وامتاز المؤول بتلاعبه بالنصوص واساءة الظن بهـا ونسبة قائلها الى التكلم بما ظاهره الضلال والاضلال ٠ فجمعوا بين أربعة محاذير : اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله محال باطل ، ففهمواالتشبيه أولا ٠ ثم انتقلوا منه الى المحذور الثانى وهو التعطيل ، فعطلوا حقائقهـا بناء منهم على ذلك الفهم الذى لايليق بهـم ولا يليق بالرب سبحانـه ٠ المحذور الثالث نسبة المتكلم الكامل العلم ، الكامل البيان ، التام النصح ، الى ضد البيان والهدى والارشاد ، وأن المتحيرين المتهوكين أجادوا العبارة فى هذا الباب ، وعبروا بعبارة لاتوهم من الباطل ماأوهمته عبـارة المتكلم بتلك النصوص ٠ ولا ريب عند كل عاقل أن ذلك يتضمن أنهم كانوا أعلم منه أو أفصح أو أنصح للناس ٠ المحذور الرابع تلاعبهم بالنصوص وانتهـاك حرماتها ، فلا اله الا الله والله أكبر : كم هدمت هذه المعاول من معـاقل الايمان ، وتثلمت بها حصون حقائق السنة والقرآن ٠ فكشف عورات هؤلاء وبيان فضائحهم من أفضل الجهاد فى سبيل الله ٠ فانه لايستقر للعبد قدم فى الاسلام حتى يعقد قلبه على أن الدين كله لله ، وأن الهدى هدى الله ، وأن الحق دائر مع الرسول (ص) وجوداً وعدما ، وأنه لا مطاع سـواه ولا متبوع غيره ، وأن كلام غيره يعرض على كلامه ، فان وافقه قبلناه لا لأنـه قاله ، بل لأنه أخبر به عن الله تعالى ورسوله ، وان خالفه رددناه ٠

ولا يعرض كلامه صلى الله عليه وسلم على آراء القياسـيين ، ولا على عقول الفلاسفة والمتكلمين ولا أذواق المتزهدين ، بل تعرض هذه كلهـا على ماجاء به ، عرض الدراهم المجهولة على أخبر الناقدين ، فما حكم بصحتـه فهو منها المقبول ، وما حكم برده فهو المردود ٠

ولا ريب أن الله وصف نفسه بصفات ، وسمى نفسه بأسـماء ، وأخبـر عن نفسـه بأفعـال ٠ وأخبر أنـه يحب ويكـره ويمقت ويرضـى ويغضب ويجىء ويأتى وينزل الى سماء الدنيا ، وانه استوى على عرشه ، وأن لـه علما وحياة وقدرة وارادة وسمعا وبصراً ووجها ، وأن له يدين ، وأنه فوق عباده ، وأن الملائكة تعرج اليه وتنزل بالأمر من عنده ، وأنه قريب ، وأنـه مع المحسنين ، ومع الصابرين ، ومع المتقين ، وأن السـموات مطويـات بيمينه ٠ ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك ، وأن قلوب العباد بين أصابعه وغير ذلـك ٠

فيقال للمتأول : تتأول هذا كله على خلاف ظاهره ، أم تفسر الجميع على ظاهره وحقيقته ، أم تفرق بين بعض ذلك وبعضه ، فان تأولت وحملته على خلاف حقيقته كان ذلك عنادا ظاهرا وكفرا صراحا ، وجحدا لربوبيتـه ٠ وهذا مذهب الدهرية الذين لايثبتون للعالم صانعا (فان قلت) أثبت للعالم صانعا ولكن لاأصفه بصفـة تقع على خلقـه ، وحيث وصف بمـا يقع على المخلوق تأولته (قيل لك) فهذه الأسماء الحسنى والصفـات التى وصف بها نفسه ، هل تدل على معاني ثابتة هى حق فى نفسها أو لاتدل ؟ فان نفيت دلالتها على معنى ثابت كان ذلك غاية التعطيل ٠ وان أثبت دلالتهـا على معانى هى حق فى نفسها ثابت ، قيل لك : فما الذى سوغ لك تأويل بعضهـا دون بعض ؟؟ وما الرق بين ماأثبتها ونفيتها من جهة السمع أو العقـل ، ودلالة النصوص على أن له سمعا وبصـراً وعلمـا وقدرة وارادة وحيـاة وكلاما كدلالتها على أن له محبة ورحمة وغضبا ورضـا وفرحـا وضحكـا ووجها ويدين ٠ فدلالة النصوص على ذلك سواء ، فان كان ظاهر النصوص يقتضى تشبيها وتجسيما فهو يقتضيه فى الجميع ، فأول الجميع ، وان كان لايقتضى ذلك لم يجز تأويل شىء منه ، وان زعمت أن بعضهـا يقتضيـه وبعضها لايقتضيه طولبت بالفرق بين الأمرين ٠

ولما أخذ هذا الالزام بخناق الجهمية قالوا : الباب كله عندنـا واحـد ونحن ننفي الجميع ٠

فتبين أنه لابد لكم من واحد من أمرين : اما هذا النفي والتعطيل ، واما أن تصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، وتتبعوا فى ذلك سبيل السلف الذين هم أعلم الأمة بهذا الشأن نفيا واثباتا ، وأشد تعظيمـا

لله وتنزيها له عما لايليق بجلاله ، فان المعانى المفهومة من الكتاب والسنة لاترد بالشبهات فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، ولا يترك تدبرها ومعرفتها فيكون ذلك مشابهة للذين لايعلمون الكتاب الا أمانى ، بل هي آيات بينات دالة على أشرف المعانى وأجلها ، قائمة حقائقها فى صدور الذين أوتوا العلم والايمان اثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل ، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال فى قلوبهم كذلك ٠ فكان الباب عندهم بابا واحداً ، وعلموا أن الصفات حكمها حكم الذات ، فكما أن ذاته لاتشبه الذوات ، فكذا صفاته لاتشبه الصفات ٠

قال الامام أحمد « التشبيه أن تقول يد كيد أوجه كوجه ، فاما اثبات يد ليست كالأيدي ووجه ليس كالوجوه فهو كاثبات ذات ليست كالذوات وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمع وبصر ليس كالأسماع والأبصار ، وليس الا هذا المسلك ، ومسلك التعطيل المحض والتناقض الذى لايثبت لصاحبه قدم فى النفي ولا فى الاثبات ٠

ثانيا : القول بأن هذه النصوص غير واضحة المعنى ولا بينة المراد : ـ معناه أن الرسول (ص) لم يعرف معاني ماأنزل الله اليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معانى الآيات ، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك ، وكذلك أحاديث الصفات لايعرف الرسول معناها مع أنه تكلم بها ابتداء ، فعل هذا يكون قد تكلم بكلام لايعرف معناه ، والحق أنها من المحكم الواضح البين فمعانى الصفات معلومة ، والمجهول هو كيفيتها ، ولا فرق فى ذلك بين بعضها والبعض الآخر ، فقد حث الله سبحانه على تدبر القرآن وتعقله واتباعه فى غير موضع ومن ذلك قوله سبحانه فى آية النساء « أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » وقوله فى آية المؤمنون « أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين » وقال فى آية (ص) كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته » وقال فى سورة القتال « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ٠

فاذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره علم أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين فهمها ومعرفتها ٠ فكيف لايكون ذلك ممكنا للمؤمنين ؟؟ اذا تبين هذا فقد وجب على كل مسلم التصديق بما أخبر به عن الله تعالى من أسمائه وصفاته مما جاء فى القرآن ، وفى السنة الثابتة عن رسول الله (ص) كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، فان هؤلاء هم الذين تلقوا عن رسول الله (ص) القرآن والسنة وكانوا يتلقون عنه مافى ذلك من

العلم والعمل كما قال : أبو عبد الرحمن السلمى « لقد حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن ، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبى (ص) عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل جميعا ، وقال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته ، أقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها ٠

وقال الامام أبو عبد الله محمد بن خفيف فى كتابه الذى سماه « اعتقاد التوحيد باثبات الاسماء والصفات » قال فى آخر خطبته « فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار فى توحيد الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاتهوقضائه قولا واحداً وشرعا ظاهرا وهم الذين نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى قال « عليكم بسنتى » وذكر الحديث ـ وحديث « لعن الله من أحدث حدثا » ـ قال فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم اذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى فى أحكام التوحيد ، وأصول الدين ، من الأسماء والصفات ، كما اختلفوا فى الفروع ، ولو كان منهم فى ذلك اختلاف لنقل الينا ، كما نقل سائر الاختلاف ، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين ، حتى نقلوا ذلك قرنا بعد قرن ، لأن الاختلاف كان عندهم فى الأصل كفر ٠ ولله المنة ٠

ثم انى قائل ـ وبالله أقول ـ انهم لما اختلفوا فى أحكام التوحيد وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين ، فخاض فى ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار ، ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار ٠ وصار معولهم على أحكام هوى النفس المستخرجة من سوء الظن به على مخالفة السنة ، والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ماوافق النفوس ، فأنزلوها على ماوافق هواهم وصححوا بذلك مذهبهم ـ احتجت الى الكشف عن صفة المتقدمين ومأخذ المؤمنين ، ومنهاج الأولين ٠

ثم قال : فلزم الأمة قاطبة معرفة ماكان عليه الصحابة ، ولم يكنالوصول اليه الا من جهة التابعين لهم باحسان ، المعروفين بنقل الأخبار ممن لايقبل المذاهب المحدثة ، فيتصل ذلك قرنا بعد قرن ممن عرفوا بالعدالة والأمانة الحافظين على الامة مالهم وما عليهم من اثبات السنة ٠

ومما ورد به النص ، أنه حي ، وذكر قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم) والحديث (ياحي ياقيوم برحمتكأستغيث) قال : ومما تعرف الله الى عباده ، أن وصف نفسه أن له وجها موصوفا بالجلال والاكرام ، فأثبت لنفسه وجها ـ وذكر الآيات ٠

ثم ذكر حديث أبي موسى « حجابه النور ـ أو النار لو كشفه لأحرقت

سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه » فقال فى هذا الحديث : من أوصاف الله عز وجل « لاينام » موافق لظاهر الكتاب ، « لاتأخذه سنة ولا نوم » وأن له وجها موصوفا بالأنوار ، وأن له بصراً ، كما علمنا فى كتابه أنه سميع بصير ـ ثم ذكر الأحاديث فى اثبات الوجه ، وفى اثبات السمع والبصر والآيات الدالة على ذلك ـ ثم قال : ثم ان الله تعالى تعرف الى عباده المؤمنين أن قال « له يدان قد بسطهما » وذكر الأحاديث فى ذلك ، ثم ذكر حديث « لايزال يلقى فى النار ، وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع فيها رجله » وهى رواية البخارى ، وفى رواية أخرى « يضع عليها قدمه » ثم ماروواه مسلم البطين عن بن عباس « أن الكرسى موضع القدمين ، وأن العرش لايقدر قدره الا الله » .

ثم قال : فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الامة موافقة لقول النبي (ص) متداولة فى الأقوال ، ومحفوظة فى الصدور ، لاينكر الخلف عن السلف ، ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم ، نقلتها الخاصة والعامة ، مدونة فى كتبهم الى أن حدث فى آخر الامة من قلل الله عددهم ممن حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجالستهم ومكالمتهم ، وأمرنا أن لانعود مرضاهم ولا نشيع جنائزهم . فقصد هؤلاء الى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه وعمدوا الى الاخبار ، فعملوا فى دفعها الى احكام المقاييس ، وكفروا المتقدمين ، وأنكروا على الصحابة والتابعين ، وردوا على الأئمة الراشدين ، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل . ثم ذكر الخلاف فى الرؤية ، وقال : قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد : أن الله يرى فى القيامة ـ وذكر الحجة ـ ثم قال : اعلم رحمك الله أني ذكرت أحكام الاختلاف على ماورد من ترتيب المحدثين فى كل الأزمنة ، وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود فأقول : ونعتقد أن الله عز وجل له عرش ، هو على عرشه فوق سبع سمواته بكل أسمائه وصفاته ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) « يدبر الأمر من السماء الى الارض » ولا نقول : انه فى الأرض كما هو فى السماء على عرشه ، لانه عالم بما يجرى على عباده ثم يعرج اليه . هذا ملخص ماذكره أبو عبد الله محمد بن خفيف .

مذهب السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من أهل السنة أن نصوص الصفات تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق وهى صريحة الدلالة واضحة المعنى وظاهرها هو مراد الله بكلامه وذلك على ما يليق به ويناسب ذاته المقدسة فتصان عن تأويل يفضى الى تعطيل وتكييف يفضى الى تمثيل ، ومن المتأخرين من يقول مذهب السلف امرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد ، وهذا اللفظ مجمل فان قوله ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلى أنه مستقر فى الحائط الذى يصلى اليه وأن الله معنا ظاهره أنه الى جانبنا ونحو ذلك فلا شك أن هذا غير مراد ومن قال ان مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب فى المعنى لكن أخطأ باطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والاحاديث فان هذا محال ليس هو الظاهر ·· وان كان الناقل عن السلف أراد بقوله (الظاهر غير مراد) عندهم المعانى التى تظهر من الآيات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا يختص بصفة المخلوقين فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب ·

روى أبو بكر الخلال فى كتاب السنة عن الأوزاعى قال : سئل مكحول والزهرى عن تفسير الأحاديث : فقالا : امروها كما جاءت : وروى أيضا عن الوليد بن مسلم قال : سألت مالك بن أنس وسفيان الثورى والليث بن سعد والأوزاعى عن الأخبار التى جاءت فى الصفات فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف وقولهم رضى الله عنهم : أمروها كما جاءت رد على المعطلة وقولهم بلا كيف رد على الممثلة : والزهرى ومكحول هما أعلم التابعين فى زمانهما والأربعة الباقون أئمة الدنيا فى عصر تابعى التابعين فلو كان مذهب السلف نفى الصفات فى نفس الأمر لما قالوا بلا كيف فقولهم (أمروها كما جاءت) يقتضى ابقاء دلالتها على ماهى عليه فانها جاءت ألفاظ دالة على معانى فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال : أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لايوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت · هذا ما قرره شيخ الاسلام : وليس من خشونة القول أو جفاف التعبير أن أقول : ان فى نسبة التفويض الى ابن تيمية وابن القيم تجن على الحقيقة لأنى لاأجد تفسيرا لذلك سوى التجنى أو الجهل بالواقع وهما أمران أحلاهما مر : وكتب الشيخين خير شاهد على عدم صحة هذا النقل عنهما ، يقول الشيخ فى الفتوى الحموية : فان هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف ــ من المتفلسفة ومن حذا حذوهم ــ على طريقة السلف انما أتوا من

حيث ظنوا أن طريقة السلف هى مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث ، من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا أمانى) وأن طريقة الخلف هى : استخراج معانى النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التى مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهر ٠ وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف ، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس فى نفس الامر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التى شاركوا فيها اخوانهم من الكافرين فلما اعتقدوا انتفاء الصفات فى نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى : بقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى ــ وهى التى يسمونها طريقة السلف ــ وبين صرف اللفظ الى معان بنوع تكلف ــ وهى التى يسمونها طريقة الخلف ، ويقول فى الرسالة التدمرية : ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض ــ الذين يوجبون فيما نفوه اما التفويض وأما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ ــ قانون مستقيم فاذا قيل لهم لم تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد لم يكن لهم جواب صحيح ٠

ويقول فى موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول فانه على قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لايعلمون معانى ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الملائكة ولا السابقون الأولون ، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه فى القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه ، بل يقولون كلاما لايعقلونه ومعلوم أن هذا قدح فى القرآن والأنبياء اذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وأمر الناس بتدبره وعقله ومع هذا فأشرف مافيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته لايعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين للناس ما أنزل اليهم ولا بلغ البلاغ المبين فيبقى هذا الكلام سدا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء وفتحا لباب الزندقة والالحاد وبهذا يتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف ، من شر أقوال أهل البدع والالحاد ٠ وفى الفتوى الحموية لما ذكر الشيخ طرفا من أقوال السلف والخلف فى باب الأسماء والصفات وكان فى كلام بعض من حكا عنهم من المتكلمين كالجوينى تأييدا لمذهب التفويض قال بعد ذلك (وليس كل من ذكرنا شيئا من قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجميع مايقوله فى هذا وغيره ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به وكان معاذ بن جبل يقول فى كلامه المشهور عنه الذى رواه أبو داود فى سننه « اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافرا ــ أو قال فاجرا ــ واحذروا زيغة الحكيم ، قالوا : كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة

الحق ؟ قال : « ان على الحق نورا » أو كلاما هذا معناه ويقول ابن قيم الجوزية فى كتابه الصواعق : والصنف الثالث أصحاب التجهيل الذين قالوا : نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يدرى ما أراد الله ورسوله منها ولكن نقرؤها ألفاظا لا معان لها ونعلم أن لها تأويلا لا يعلمه الا الله وهى عندنا بمنزلة (كهيعص) و (حمعسق) و (المص) فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلا ولا تشبيها ، ولم نعرف معناه وننكر على من تأوله ، ونكل علمه الى الله تعالى وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ، ولا يفهمون معنى قوله (لما خلقت بيدى) وقوله (والارض جميعا قبضته يوم القيامة) وقوله (الرحمن على العرش استوى) وأمثال ذلك من نصوص الصفات ، وبنوا هذا المذهب على أصلين (أحدهما) أن هذه النصوص من المتشابه و (الثانى) أن للمتشابه تأويلا لا يعلمه الا الله ، فنتج من هذين الأصلين استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم باحسان • وأنهم كانوا يقرؤون هذه الآيات المتعلقة بالصفات ولا يعرفون معنى ذلك ولا ما أريد به ولازم قولهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه •

وقد لا يكون من الغريب أن ينسب الأستاذ الميدانى مقالة التفويض الى السلف لأنه متأثر بشكل عميق بآراء الأشاعرة وهم يلقبون أنفسهم بذلك •

يقول الدكتور كمال اليازجى فى كتابه (النصوص الفلسفية الميسرة) بالغ بعض السلف فى اثبات الصفات الى حد التشبيه بصفات المحدثات واقتصر بعضهم على صفات دلت الأفعال عليها وما ورد بالخبر فافترقوا فيه فرقتين •

منهم من أولها على وجه يحتمل اللفظ ذلك ، ومنهم من توقف فى التأويل وقال عرفنا بمقتضى العقل ان الله تعالى ليس كمثله شىء فلا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شىء منها وقطعنا بذلك الا أننا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ومثل قوله (لما خلقت بيدى ومثل قوله (وجاء ربك) الى غير ذلك ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لاشريك له وليس كمثله شىء وذلك قد أثبتناه يقينا ثم ان جماعة من المتأخرين زادوا على ماقاله السلف فقالوا لابد من اجرائها على ظاهرها والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرض للتأويل ولا توقف فى الظاهر ، فوقعوا فى التشبيه الصرف وذلك خلاف ما اعتقده السلف •

ويقول الاستاذ على الطنطاوي : وأما الحنابلة (لا أعني أتباع المذهب

الحنبلى الآن بل من جاء بعد انتصار أحمد ابن حنبل على المعتزلة) فقد ظهر فيهم مايسمونه اليوم بـ (رد الفعل) فانتقلوا من ذلك الغلو الشنيع فى تقدير العقل وتحكيمه فى كل أمر الى غلو شنيع فى الوقوف عند ظواهر النصوص واهمال العقل جملة وتفصيلا فجعلوا لله وجها ويدا وقالوا بأن كلامه بحرف وصوت وبأنه مستو على عرشه استوءا حقيقيا · وأشياء أخر من هذا الباب أخذوها على ظاهرها مع أن السلف أمروها ولم يخوضوا غمار الكلام فيها ، على أن الاستاذ الطنطاوى قد هاجم الأشاعرة مهاجمة عنيفة حيث يقول (أما الأشاعرة فانهم شاركوا المعتزلة فى تحكيم العقل ولكن لا على منهاج واضح فكانوا عقليين أحيانا وكانوا حينا متبعين أسلوبا غريبا لاهم فيه مع السلف ، يقفون عند حدود الايمان القرآنى فهما صحيحا واعتقاداً ، ولا هم فيه مع المعتزلة الذين يتبعون أسلوب المنطق العقلى ، ولست أدرى والحالة هذه الى أى فرقة من هذه الفرق يروق للأستاذ على أن ينسب نفسه اليها ، وانما الغريب هو أن يقول الميداني وهى طريقة السلف رضوان الله عليهم وهم علماء الطبقات الثلاث : الصحابة والتابعون وأتباع التابعين فى تفسير هذه النصوص فينسب هذا المذهب الى علماء الطبقات الثلاث وهم بريئون منه ·

فان الصحابة والتابعين والأئمة الاربعة وأمثالهم من أئمة الهدي والدين بعيدون كل البعد عن هذا المذهب ، وفى نسبته اليهم خطأ كبير · حكى الأوزاعي أحد الأئمة الأربعة فى عصر التابعين الذين هم : مالك امام أهل الحجاز والأوزاعى أمام أهل الشام ، والليث أمام أهل مصر ، والثورى امام أهل العراق ، حكى شهرة القول فى زمن التابعين بالايمان بأن الله تعالى فوق العرش بصفاته السمعية ، وانما قال ذلك بعد ظهور جهم المنكر لكون الله فوق عرشه النافى لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف خلافه ·

ولما ذكر الشيخ ابن تيمية فى الفتوى الحموية طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف فى هذا الباب قال بعد ذلك :

الى أمثال ذلك مما لايحصيه الا الله مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التى تورث علما يقينا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله ألقى الى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الامم عربهم وعجمهم فى الجاهلية والاسلام الا من اجتالته الشياطين عن فطرته ثم عن السلف فى ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلَغ مئين أو ألوفا ثم ليس فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من سلف الامة لا من الصحابة ولا

من التابعين لهم باحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهراً ، ولم يقل أحد منهم قط ان الله ليس فى السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه بذاته فى كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة اليه سواء . فان كان الحق فيما يقولهؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة فى الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون مايفهم من الكتاب والسنة ، اما نصا واما ظاهرا فكيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على خير الامة أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر فى خلاف الحق الذى يجب اعتقاده ثم لايبوحون بالحق الذى يجب اعتقاده قط ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهراً حتى يجىء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التى يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها اهـ .

ويأتى دور الحسين بن مسعود البغوي المفسر لنبين عدم صحة مانقله عنه الميداني فى هذا الباب ، قال رحمه الله فى تفسير آية المائدة مانصه (بل يداه مبسوطتان) ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه ، وقال جل ذكره (لما خلقت بيدى) وقال صلى الله عليه وسلم (كلتا يديه يمين) والله أعلم بصفاته . فعلى العباد فيها التسليم وقال أئمة السلف من أهل السنة فى هذه أمروها كما جاءت بلا كيف ، وقال فى آية الأعراف (ثم استوى على العرش) قال الكلبي ومقاتل استقر وقال أبو عبيدة صعد وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء ، فأما أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف ، يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم فيه الى الله عز وجل . وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله الرحمن على استوى كيف استوى فأطرق رأسه مليا وعلاه الرحضاء ، ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك الا ضالا ثم أمر به فأخرج وروي عن سفيان الثورى والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عينية وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى جاءت فى الصفات المتشابهات أمروها كما جاءت بلا كيف .

وقال عنه شيخ الاسلام ابن تيمية قال الامام محى السنة الحسين بن مسعود البغوى قدس الله روحه فى تفسيره (وهو شجى فى حلوق الجهمية والمعطلة فى سورة الأعراف فى قوله تعالى (ثم استوى على العرش) قال الكلبى ومقاتل (استقر) وقال أبو عبيدة (صعد) قال وأولت المعتزلة الاستواء (بالاستيلاء) قال وأما أهل السنة فيقولون (الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف) وقال عنه ابن قيم الجوزية (قال الامام محي السنة الحسين بن مسعود البغوى قدس الله روحه) فى تفسيره الذى هو

شجى فى حلوق الجهمية والمعطلة فى سورة الأعراف فى قوله تعالى (ثم استوى على العرش) قال الكلبى ومقاتل (استقر) وقال أبو عبيدة (صعد) قال وأولت المعتزلة الاستواء (بالاستيلاء) قال وأما أهل السنة فيقولون (الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف يجب على الرجل أن يؤمن بذلك ويكل العلم فيه الى الله تعالى) ثم حكى قول مالك (الاستواء غير مجهول) ومراد السلف لقولهم بلا كيف هو نفي للتأويل فانه التكييف الذى يزعمه أهل التأويل فانهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون فى ثلاثة محاذير ، نفي الحقيقة ، واثبات التكييف بالتأويل ، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التى أثبتها لنفسه ، وأما أهل الاثبات ، فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه ويقول كيف كذا وكذا حتى يكون قول السلف بلا كيف رداً عليه وانما ردوا على أهل التأويل الذى يتضمن التحريف والتعطيل تحريف اللفظ وتعطيل معناه ، انتهى ·

أما قوله آيات الصفات المتشابهة فانما قصد أن كيفية الصفات من المتشابه فهذه العبارة مثل قوله وقول غيره من السلف أمروها كما جاءت بلا كيف وقد تقدم تفسير ذلك · ولو كان كلام البغوي صريحا فى التفويض لكان ذلك خطئا يسجل عليه ويعد من مثالبه ، وأما ماذكره الاستاذ عن أبى عبد الله محمد بن عمر الرازى فصحيح ، وقد حكى عنه شيخ الاسلام ابن تيمية فى موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول قانونه فى التأويل والتفويض كما ذكر فى الحموية أنه ممن يؤول من جنس تأويلات المريسية وأنه ممن تحيروا بعد خوضهم فى بحور الفلسفة على أن قوله (لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فلم أرها تشفى عليلا ولا تروي غليلا) ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ فى الاثبات (الرحمن على العرش استوى) واقرأ فى النفي (ليس كمثله شيء) من الممكن أن يعتبر رجوعا منه عن القول بالتفويض والتأويل فان قوله اقرأ فى الاثبات يقتضي اثبات المعنى الذى دل عليه النص وقوله : اقرأ فى النفى يقتضى نفى المماثلة فى المعنى الذى دل عليه النص والى هذا المعنى يشير قوله فى آخر كتابه وهو كتاب أقسام اللذات الذى صنفه فى آخر عمره · وأما اللذة العقلية فلا سبيل الى الوصول اليها والتعلق بها فلهذا السبب نقول ياليتنا بقينا على العدم الأول وليتنا ماشهدنا هذا العالم وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن ، وفى هذا المعنى قلت :

نهاية أقدام العقول عقال — وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا — وحاصل دنيانا أذي ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا — سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم قد رأينا من رجال ودولة　　فبادوا جميعا مسـرعين وزالوا

وكم من جبال قد على شرفاتهـا　　رجال فزالوا والجبال جبـال

وأعلم أني بعد التوغل فى هذه المضايق والتعمق فى الاستكشاف عنأسرار هذه الحقائق رأيت الأصوب الأصلح فى هذا الباب طريقـة القـرآن الكـريم والفرقان العظيم ، فاقرأ فى التنزيه قوله تعالى (والله الغنى وأنتم الفقراء) وقوله تعالى (ليس كمثله شيء) وقوله تعالى (قل هو الله أحد) واقرأ فى الاثبات قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) وقوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصـالح يرفعه) وعلى هذا القانون فقس وختم الكتاب ٠

وقول صاحب أبى حنيفة (بغير تفسير) معناه بغير تفسير يخـالف ظاهر النص بدليل قوله (ولا تشبيه) فانه لايحتاج الى نفي التشبيه اذا لم يفهـم عن اللفظ معنى اذ نفي التشبيه عما ليس ثابت لغو من القول والمعروف عن محمد بن الحسن الشيبانى أنه من جملة أئمة السـنة المثبتين للـه جميـع الصفات والنافين عنه مماثلة المخلوقات كما ذكر ذلك أحمـد بن سلامـة الأزدى فى رسالته الطحاوية ٠ وجاء فى رسالة شيخ الاسلام أبى عثمـان اسماعيل ابن عبد الرحمن الصابونى التى بين فيها عقيدة السلف مانصـه (وقرأت لأبى عبد الله بن أبى حفص البخارى وكان شيخ بخارى فى عصره بلا مدافعة وأبو حفص كان من كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيبانى قال أبو عبد الله أعنى ابن أبى حفص هذا عبد الله ابنعثمان وهو شيخ مرو ، يقول سمعت محمد بن الحسنالشيبانى يقول قال حماد بن أبى حنيفة قلنا لهؤلاء أرأيتم قول الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفا صفا) قالوا أمـا الملائكة فيجيئونصفا صفا ، وأما الرب تعالى فأنا لاتدرى ماعنى بذلك ولا ندري كيفية مجيئه فقلت لهم انا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته ، ولكنـا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه ، أرأيتم من أنكر أن الملك لايجيء صفا صفا ماهو عندكم ، قالوا كافر مكذب ، قلت فكذلك انأنكر أنالله سبحانه لايجيء فهو كافر مكذب ، انتهى ٠

والذى ذكره الميداني عن أبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمـان المعروف بابن الصلاح هو قول الأشاعرة الذين بقوا على المذهب القديم لأبى الحسن الأشعرى منالمتقدمين والمتأخرين وذلكمثلماجاءفىكلامعبدالرحمنابن على ابن الجوزى المشهور بالوعظ والمعروف فى الوقت نفسه بالخطأالفاحش فى باب الأسماء والصفات يقول فى كتابه (صيد الخاطر) مانصه : عجبت من أقوام يدعون العلم ويميلون الى التشـبيه بحملهم الأحـاديث على

ظواهرها فلو أنهم أمروها كما جاءت سلموا لأن من أمر ما جاء من غير تعرض ولا اعتراض فما قال شيئا لا له ولا عليه ولكن أقواما قصرت علومهم فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا ويستطرد الى أن يقول : فانه من قرأ الآيات والأحاديث ولم يزدلم أله وهذه طريقة السلف ، فأما من قال : الحديث يقتضى كذا ويحمل على كذا مثل أن يقول استوى على العرش بذاته وينزل الى السماء الدنيا بذاته فهذه زيادة فهمها قائلها من الحس لا من النقل ، انتهى ٠

وقد علق الأستاذ الطنطاوى على ماجاء فى صيد الخاطر بما نصه قوله تعالى « وجاء ربك » وقوله « انا نسيناكم » و « الله يستهزء بهم » فان العربى الذى نزل القرآن بلغته لايفهمه الا مؤولا مصروفا عن ظاهره ومثلها (يد الله فوق أيديهم) وآية الاستواء على العرش فان قيل ان الله أثبت لنفسه يدين بقوله « بل يداه مبسوطتان » قلنا وفى القرآن (بين يدى رحمته) و (بين يدى عذاب شديد) فهل للرحمة والعذاب يدان لا وانما هو تمثيل يفهمه العربى ، هذا مع العلم أن اتباع السلف فى السكوت عن الخوض فى هذا كله وتفويض أمره الى الله أحسن ، انتهى ٠

أما أئمة الفقه وأعلام الحديث فليس القول بالتفويض ولا التأويل مذهبا لهم ولست فى حاجة الى سرد أقوالهم فكتب السنة قد تكفلت بذلك ويكفى هنا أن أسجل مايلى : قال عبد الرحمن بن أبى حاتم سألت أبى وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة فى أصول الدين وما أدركا عليه أئمة العلم فى ذلك فقالا أدركنا العلماء فى جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم الايمان قول وعمل يزيد وينقص الى أن قال : وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بلا كيف : وقال الامام محمد ابن اسماعيل البخارى فى كتاب التوحيد من صحيحة : باب قول الله عز وجل وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم : قال أبو العالية استوى الى السماء ارتفع فسواهن خلقهن وقال مجاهد استوى علا على العرش ثم ساق البخارى حديث زينب بنت جحش رضى الله عنها أنها كانت تفتخر على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول : زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات وذكر تراجم أبواب هذا الكتاب فمن تراجم أبواب هذا الكتاب باب قول الله عز وجل كل شىء هالك الا وجهه ، ثم ذكر حديث جابر رضى الله عنه أعوذ بوجهك ، ثم قال باب قول الله عزوجل : (ولتصنع على عينى) وقوله (تجرى بأعيننا) ثم ذكر حديث الدجال ان ربكم ليس بأعور ثم قال باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدى) ثم ذكر أحاديث فى

اثبات اليدين وقال أبو عيسى الترمذى فى جامعه : وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه وقال فى حديث أبى هريرة أن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ، قال غير واحد من أهل العلم فى هذا الحديث وما يشبهه من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى الى سماء الدنيا قالوا قد ثبتت الروايات فى هذا ونؤمن به ولا نتوهم ولا نقول كيف هكذا ، روى عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا فى هذه الأحاديث أمروها بلا كيف قال وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه وقد ذكر الله تعالى فى غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات وفسروها على غير مافسر أهل العلم ، وقالوا ان الله لم يخلق آدم بيده وانما معنى اليد هنا القوة ، فقال اسحق بن راهويه : انما يكون التشبيه اذا قال يد كيدى أو مثل يدى أو سمع كسمعى فهذا تشبيه وأما اذا قالكما قال الله يد وسمعوبصر فلا يقولكيف ولا يقولمثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيها عنده ، قال الله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) هذا كله كلامه وقد ذكره عنه شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصارى فى كتابه الفاروق باسناده ، وكذلك من تأمل تبويب ابن ماجه فى سننه والرد على الجهمية فى اول كتابه وتبويب أبى داود فيما ذكر فى الجهمية والقدرية ، وسائر أئمة أهل الحديث ، على مضمون قولهم وانهم كلهم على طريقة واحدة وقول واحد ولكن بعضهم بوب وترجم ولم يزد على الحديث غير التراجم والأبواب وبعضهم زاد التقرير وابطال قول المخالف وبعضهم سرد الأحاديث ولم يترجم لها وليس فيهم من أبطل حقائقها وحرفها عن مواضعها وسمى تحريفها تأويلا كما فعلته الجهمية وابن ماجه قال فى أول سننه باب ما أنكرت الجهمية ثم روى أحاديث الرؤية وحديث أين كان ربنا وحديث جابر بينما أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور من فوقهم فرفعوا رؤوسهم فاذا الجبار جل جلاله قد أشرق عليهم من فوقهم وحديث الأوعال الذى فيه والعرش فوق ذلك والله فوق العرش وحديث ان الله ليضحك الى ثلاثة وغيرها من الأحاديث .

فى موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول فى الكلام على التأويل مانصه (لفظ التأويل فى القرآن يراد به ما يؤول الأمر اليه وان كان موافقا لمدلول اللفظ) . ومفهومه فى الظاهر ويراد به تفسير الكلام وبيان معناه وان كان موافقا له وهو اصطلاح المفسرين المتقدمين كمجاهد وغيره ويراد به صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك .

وتخصيص لفظ التأويل بهذا المعنى انما يوجد فى كلام بعض المتأخرين فأما الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم فلا يخصون لفظ « التأويل » بهذا المعنى بل يريدون بالتأويل المعنى الأول أو الثانى ولهذا لما ظن طائفـــة من المتأخرين أن لفظ « التأويل » فى القرآن والحديث فى مثل قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) . أريد به هذا المعنى الاصطلاحى الخاص واعتقدوا أن الموقف فى الآية عند قوله (وما يعلم تأويله الا الله) لزم من ذلك أن يعتقدوا أن لهذه الآيات والأحاديث معانى تخالف مدلولها المفهوم منها ، وأن ذلك المعنى المراد بها لا يعلمه الا الله لا يعلمه الملـــك الذى نزل بالقرآن وهو جبريل ولا يعلمه محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره من الأنبياء ولا تعلمه الصحابة والتابعون لهم باحسان وأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يقرأ قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله (اليه يصعد الكلم الطيب) وقوله (بل يداه مبسوطتان) وغير ذلك من آيات الصفات بل ويقول « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا » ونحو ذلك وهو لا يعرف معانى هذه الأقوال بل معناها الذى دلت عليه لا يعلمه الا الله ويظنون أن هذه طريقة السلف : وهؤلاء أهل التضليل والتجهيـل الذين حقيقة قولهم ان الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون لايعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبيـاء : ثم هـؤلاء منهم من يقول : المراد بها خلاف مدلولها الظاهر والمفهوم ولا يعرف أحد من الأنبياء والملائكة والصحابة والعلماء ما أراد الله بها كما لايعلمـون وقت الساعة : ومنهم من يقول : بل تجرى على ظاهرها وتحمـــل على ظاهرها ومع هذا فلا يعلم تأويلها الا الله فيتناقضون .

وفى الصواعق المرسلة ذكر أنواعا عديدة للتأويلات الباطلـــة يكفى أن أسجل من ذلك مايلى : ــ

أ ــ تأويل اللفظ بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا قرينة تقتضيه ، فان هذا لايقصده المبين الهادى بكلامه اذ لو قصده لحف بالكلام قرائن تدل

على المعنى المخالف لظاهره حتى لايوقع السامع فى اللبس ، فان الله تعالى أنزل كلامه بيانا وهدى فاذا أراد به خلاف ظاهره ولم يحف بـه قرائن تدل على المعنى الذى يتبادر غيره الى فهم كل أحد لم يكن بيانا ولا هدى ٠

ب ـ ما ألف استعماله فى غير ذلك المعنى لكن فى غير التركيب الذىورد به النص : فيحمله المتأول فى هذا التركيب الذى لايحتمله على مجيئه فى تركيب آخر يحتمله كتأويل اليدين فى قوله تعـالى (مامنعك أن تسـجد لما خلقت بيدى) بالنعمة ٠ ولا ريب أن العرب تقول : لفلان عندى يد وقال عروة ابن مسعود للصديق رضى الله عنه لولا يدلك عندي لم أجزك بها لأجبتك ٠

ولكن وقوع اليد فى هذا التركيب الذى أضاف سبحانـه فيه الفعـل الى نفسه ثم تعدى الفعل الى اليد بالباء التى هى نظير كتبت بالقلم وجعل ذلك خاصة خصبها صفيه آدم دون البشركما خصالمسيح بأنه نفخفيه منروحه وخص موسى بأنه كلمه بلا واسطة ، فهذا مما يحيل تأويل اليـد فى النص بالنعمة وان كانت فى تركيب آخر تصلح لذلك فلا يلزم من صلاحيـة اللفظ لمعنى ما فى تركيب صلاحيته له فى كل تركيب ، وكذلك قوله تعالى (وجـوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) يستحيل فيها تأويل النظر بانتظـار الثواب فانه أضاف النظرالىالوجوه الموصوفة بالنضرة التىلاتحصلالامعحضور مايتنعم به لا مع التنغيص بانتظاره ويستحيل مع هذا التركيب تأويل النظر بغير الرؤيا وان كان النظر بمعنى الانتظار فى قوله تعالى (انظرونا نقتبس من نوركم) وقوله (فناظرة بم يرجع المرسلون) ومثل هـذا قول الجهمـى الملبس اذا قال لك المشبه (الرحمن على العرش استوى) فقل لـه : العرش له عدة معانى ، والاستواء له خمس معانى ، فأى ذلك المراد ؟ فان المشبـه يتحير ولا يدرى مايقول ، فيقال لهذا الجاهل : ويلك ماذنب الموحـد الذى سميته أنت وأصحابك مشبها ، وقد قال لك نفس ماقال الله تعالى ٠ فوالله لو كان مشبها كما تزعم لكان أولى بالله ورسوله منك لأنه لم يتعد النص ٠ (وأما قولك) العرش له معانى ونحوها والاستواء له خمسـة معـان فتلبيس منك على الجهال وكذب ظـاهر فانـه ليس لعرش الرحمن الذى استوى عليه الا معنى واحد وان كان للعرش من حيث الجملة عدة معاني فاللام للعهد ، وقد صار بها العرش معينا وهو عرش الرب تعالى الذى هو سرير ملكه الذى اتفقت عليه الرسل وأقرت به الامم ٠

وقولك الاستواء له عدة معانى تلبيس آخر منك فان الاسـتواء المعدي بأداة « على » ليس له الا معنى واحد وأما الاستواء المطلق فله عدة معـان فان العرب تقول : استوى كذا انتهى وكمل ومنه قولـه تعـالى (ولـما بلغ أشده واستوى) وتقولاستوىكذاأوكذااذا ساواه نحوقولهم : استوىالماء

والخشب واستوى الليل والنهار . وتقول استوى الى كذا اذا قصد اليه علوا وارتفاعا نحو استوى الى السطح والجبل ، واستوى على كذا أى ارتفع عليه وعلا عليه ولا تعرف العرب غير هذا . فالاستواء فى هذا التركيب نص لايحتمل غير معناه كما هو فى قوله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى) لايحتمل غير معناه ونص فى قولهم استوى الليل والنهار فى معناه ولا يحتمل غيره .

د ـ أما الاستدلال على مقالة التفويض بجواب الامام مالك بن أنس وأم سلمة رحمهما الله فاستدلال غريب غاية الغرابة ، وقد شارك الاستاذ الطنطاوى الميداني فى هذا الاستدلال حيث يقول فى كتابه الفصول مانصه ـ ولما وصل المصرى الذى أرسله ابن العاص الى عمر ابن الخطاب ووجده يتكلم فى شىء يشبه علم الكلام اليوم بسؤاله عن معنى الاستواء وأمثال ذلك من المتشابه ضربه ونفاه وأمر الناس بمقاطعته مع أن ما ضربه لأجله هو ماتمتلىء به كتب علم الكلام الذى نسميه علم التوحيد ومالك لما سئل عن ذلك عد السؤال بدعة وجوابه مشهور معروف .

ورداً على هذا الاستدلال الغريب أسجل مايلي :

أ ـ المراد من هذا الجواب وما فى معناه من كلام السلف أن الاستواء معقول يعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة أخرى وهو من التأويل الذى يعلمه الراسخون فى العلم ، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذى لايعلمه الا الله تعالى : والألفاظ ذاتها واضحة فى الدلالة على مقصود المتكلم بها . روي أبو اسماعيل الصابونى فى كتابه العقيدة بسنده الى أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت فى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والاقرار به ايمان والجحود به كفر وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب التمهيد ـ بسنده الى عبد الله ابن نافع قال قال مالك بن أنس الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لايخلوا منه مكان قال وقيل لمالك (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى فقال مالك ابن أنس رحمه الله تعالى : استوائه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء . وروى أبو الشيخ الاصبهانى وأبو بكر البيهقى عن يحيى بن يحيى قال : كنا عند مالك ابن أنس فجاءه رجل فقال : ياأبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الا مبتدعا فأمر به أن يخرج . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : وجواب مالك فى ذلك صريح فى الاثبات فان السائل قال له : ياأبا عبد الله (الرحمن على

العرش استوى) كيف استوى ؟؟ فقال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول وفى لفظ استوائه معلوم ـ أو معقول ـ والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فقد أخبر رضى الله عنه بأن نفس الاستواء معلوم وأن كيفية الاستواء مجهولة وهذا بعينه قول أهل الاثبات ، وأما النفاة فما يثبتون استواءا حتى تجهل كيفيته ، واذا كان الاستواء مجهولا لم يحتج أن يقال الكيف مجهول : وكلام مالك صريح فى اثبات الاستواء ، وأنه معلوم وأن له كيفية ، لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لانعلمها نحن ، ولهذا بدع السائل الذى سأله عن هذه الكيفية فان السؤال انما يكون عن أمر معلوم لنا ، ونحن لانعلم كيفية استوائه وليس كل ماكان معلوما وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا يبين ذلك أن المالكية وغير المالكية نقلوا عن مالك أنه قال : ألله فى السماء وعلمه فى كل مكان حتى ذكر مكى ـ خطيب قرطبة ـ (فى كتاب التفسير) الذى جمعه فى كلام مالك ونقله أبو عمر الطلمنكى وأبو عمرو ابن عبد البر وابن أبى زيد فى المختصر وغير واحد ونقله أيضا عن مالك غير هؤلاء ممن لايحصى عددهم مثل أحمد ابن حنبل وابنه عبد الله والأثرم والخلال والآجري وابن أبى بطة وطوائف غير هؤلاء من المصنفين فى السنة ولو كان مالك من الواقفة أو النفاة لم ينقل عنه هذا الاثبات ، وكلام أئمة المالكية ، وقدمائهم فى الاثبات كثير مشهور ، حتى ان علماءهم حكوا اجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه .

وابن أبى زيد انما ذكر ماذكره سائر أئمة السلف ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبى زيد فى هذا وهو انما ذكر هذا فى مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين لانه عند أئمة السنة من الاعتقادات التى يلقنها كل أحد ولم يرد على ابن أبى زيد فى هذا الا من كان من أتباع الجهمية النفاة .

والذين أنكروا على ابن أبى زيد وأمثاله من المتأخرين تلقوا هذا الانكار عن متأخرى الأشعرية ـ كأبى المعالى وأتباعه ـ وهؤلاء تلقوا هذاالانكار عن الأصول التى شاركوا فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية ، فالجهمية من المعتزلة وغيرهم هم أصل هذا الانكار .

ب ـ أما قصة الرجل الذى ضربه أمير المؤمنينفهى كما يلى : روي يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب أن صبيغا التميمى أتى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقال ياأمير المؤمنين أخبرنى عن الذاريات ذروا قال هى الرياح ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فأخبرنى عن الحاملات وقرأ قال هى السحاب ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته ، قال فأخبرنى عن المقسمات أمرا قال الملائكة ولولا أنى سمعت رسول الله يقوله ما قلته قال

فأخبرنى عن الجاريات يسرأ قال هى السفن ولولا أنى سمعت رسول اللـه صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال ثم أمربه فضرب مائة سوط ثمجعله فى بيت حتى اذا برأ دعا به ثم ضربه مائة سوط أخرى ثم حمله على قتب وكتب الى أبى موسى الأشعرى أن حرم عليه مجالسة الناس فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف بالأيمان المغلظة مايجد فى نفسه مما كان يجـده شيئا فكتب عمر اليه ما أخاله الا قد صدق خل بينه وبين مجالسـة الناس وروي حماد ابن زيد أيضا عن يزيد ابن أبى حازم عن سليمان بن يســار أن رجلا من بنى تميم يقال له صبيغ قدم المدينة فكانت عنده كتب فجعليسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر فبعثاليه وقد أعد له عراجين النخل فلما دخل عليه جلس فقال من أنت قال أنا عبد الله صبيغ قال وأنا عبد الله عمر ثم أهوي اليه فجعل يضربه بتلك العراجين فما زال يضربه حتى شجه فجعل الدم يسيل على وجهه فقال حسبك ياأمير المؤمنين فقد والله ذهب الذى كنت أجد فى رأسى والقصة كما ترى واضحة فى أن الرجل كان متشـككا مضللا يجادل فى القرآن مما سبب تأديبه حتى اعترف واعتذر بذهاب مافى نفسـه فهو ممن عناهم الحديث المروي عن النبى صلى الله عليه وسلم (اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سم الله فاحذروهم) وفى ذلك يقول ابن كثير المفسر بعد سياقه لهذا الأثر (وقصـة صبيغ مشـهورة مع عمـر رضى الله عنه وانما ضربه لانه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتا وعنادا) والله أعلم ٠ انتهى ٠

ومما يوضح ذلك ما رواه يزيد بن هرون فى مجلسه من حديث اسماعيل بن أبى خالد عن قيس ابن أبى حازم عن جرير بن عبد الله فى الرؤيـة وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (انكم تنظرون الى ربكم كمـا تنظرون الى القمر ليلة البدر) فقال رجل فى مجلسه ، ياأبا خالد ما معنى هذا الحديث فغضب وحرد وقال ما أشبهك بصبيغ وأحوجك الى مثل مـا فعل به ويلك ومن يدرى كيف هذا ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذى جاء به الحديث أو يتكلم فيه بشىء من تلقاء نفسه الا من سفه نفسـه واستخف بدينه اذا سمعتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوه ولا تبتدعوا فيه فانكم ان اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم وان لم تفعلوا هلكتم : أما أمير المؤمنين عمر فكغيره من الصحابة لم يرو عنهـم ولا حرف واحد فى نفى معانى أسماء الله وصفاته وكتب التفسير والسـنة قد سطرت المروى عنهم فى هذا الباب ٠

وقد روى عبد الله ابن الامام أحمد ابن حنبل فى كتاب السـنة قال : حدثنى أبى وعبد الأعلى ابن حماد النمرسى قالا حدثنا عبد الرحمن ابن

مهدى حدثنا سفيان عن أبى اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر قال : اذا جلس تبارك وتعالى على الكرسى سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد وهذا الحديث حدث به أبو اسحاق السبيعى مقررا له كغيره من أحاديث الصفات وحدث به كذلك سفيان الثورى وحدث به أبو أحمد الزبيدى وكمشد بن أبى بكر ووكيع عن اسرائيل ورواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل أيضا عن أبيه حدثنا وكيع بحديث اسرائيل عن أبى اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضى الله عنه اذ جلس الرب على الكرسى فاقشعر رجل سماه أبى عند وكيع فغضب وكيع وقال أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذا الحديث ولا ينكرونه ·

هـ ــ أما ماقاله الاستاذ الميدانى حول فوقية الله سبحانه وتعالى فيكفى للتعليق على ذلك أن أذكر مايلى : روى شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصارى فى كتابه الفاروق بسنده الى مطيع البلخى أنه سأل أبا حنيفة عمن قال لا أعرف ربى فى السماء أم فى الارض ؟ فقال قد كفر لأن الله يقول : (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سمواته ، قلت فان قال انه على العرش ولكن يقول : لا أدرى العرش فى السماء أم فى الارض ؟ قال : هو كافر لأنه أنكر أنه فى السماء فمن أنكر أنه فى السماء فقد كفر · وزاد غيره لان الله فى أعلى عليين وهو يدعى من أعلى لا من أسفل ، انتهى · قال فى شرح الطحاوية ولا يلتفت الى من أنكر ذلك ممن ينتسب الى مذهب أبى حنيفة فقد انتسب اليه طوائف معتزلة وغيرهم مخالفون له فى كثير من اعتقاداته ، وقد ينتسب الى مالك والشافعى وأحمد من يخالفهم فى بعض اعتقاداتهم وقصة أبىيوسف فى استتابة بشر المريسى لما أنكر أن يكون الله عز وجل فوق العرش ــ : مشهورة رواها عبد الرحمن ابن أبى حاتم وغيره · وقد ذكر ابن القيم فى الصواعق المرسلة فى معرض كلامه على أنواع التأويلات الباطلة مانصه التأويل الذى يوجب تعطيل المعنى الذى هو غاية العلو والشرف ويحطه الى معنى دونه بمراتب · مثاله تأويل الجهمية (وهو القاهر فوق عباده) ونظائره بأنها فوقية الشرف كقولهم الدراهم فوق الفلس ــ فعطلوا حقيقة الفوقيةالمطلقة التى هى من خصائص الربوبية المستلزمة لعظمة الرب تعالى وحطوها الى كون قدره فوق قدر بنى آدم وكذلك تأويلهم استواءه على عرشه بقدرته عليه وانه غالب عليه ، فيا لله العجب هل شك عاقل فى كونه غالبا لعرشه قادرا عليه حتى يخبر به سبحانه فى سبعة مواضع من كتابه مطردة بلفظ واحد ليس فيها موضع واحد يراد به المعنى الذى أبداه المتأولون ؟ وهذا التمدح والتعظيم كله لأجل أن يعرفنا أنه غلب على عرشه وقدر عليه بعد خلق السموات والأرض ؟ أفترى لم يكن غالبا للعرش قادرا عليه فى مدة

تزيد على خمسين ألف سنة ثم تجدد له ذلك بعد خلق هذا العالم ؟ انتهى .

ولست بهذا الرد أثير شغبا أو أقصد تجريحا ولكن الحق يجب أن يقال وبالمناسبة تحضرنى عبارة قالها الأستاذ محمد الغزالى فى حق عالم أزهرى يقول (ان التوسل بأصحاب القبور واجب لأن لصاحب القبر تأثيرا أقوى من تأثير الحى ولا حرج فى ذلك مادام المتوسل يعتقد أن الله هو الفاعل) وهى (ان واجب العالم المسلم أن يرمق هذه التوسلات النابية باستنكار ويبذل جهده فى تعليم ذويها طريق الحق لا أن يفرغ وسعه فى التحمل والاعتذار ، ولست ممن يحب تكفير الناس بأوهى الأسباب ولكن حرام أن ندع الجهل يفتك بالعقائد ونحن شهود) انتهى .

ولعلى بهذا أذكر الشيخ الطنطاوى والذين استمعوا لحديثه على مائدة الافطار الذى ألقاه ليلة الاثنين ٥ ـ ٩ ـ ١٣٨٨ هـ لعلى أذكر الجميع بقوله ان تدريس كتب قد مضى على تأليفها أكثر من ستمائة سنة غير مناسب لأنها تناقش مذاهب الجهمية والمعتزلة ومن على شاكلتهم وهؤلاء قد بادوا وانقرضوا وبادت معهم آرائهم وانقرضت مذاهبهم غير أنه فى الليلة التى تلتها عاد واستثنى المتخصصين وهذا استثناء سليم جدا وصحيح تماما ، غير أنه لا يتفق مع قوله انه لا فائدة فى دراسة مذاهب قد بادت ولا فى تدريس كتب قد تقادم عهدها كما أنه قال انه حينما يأتى الينا من يرغب الدخول فى الاسلام لا نزيد على أن نعلمه (الأسس العامة ومالا يستقيم دينه الا به وتلك حقيقة) لايختلف فيها اثنان فان من لا يزال فى المراحل الأولية من دراسته ومثله من رغب من غير المسلمين فى الدخول فى الاسلام لايدخل فى مناقشات الطوائف الزائغة وتفنيد آرائها وانما يكتفى بتعليمه الخطوط العريضة والأسس العامة للتوحيد ثم يتدرج الدارس أو حديث العهد بالدين شيئا فشيئا .

نعم هذا الاستثناء لا يتفق مع تعليل الشيخ والهدف الذى يرمى اليه عن حسن نية واجتهاد وفيما يلى نص ماقرره فى كتابه (فصول اسلامية) قال (لقد علمت فى الكلية الشرعية فى دمشق والكلية الشرعية فى بيروت والكلية الشرعية فى بغداد منذ أكثر من خمس عشرة سنة وكلها قد أنشىء على غرار معاهد الأزهر وكلياته وكلها يتبع مناهج قريبة من مناهجه .

فكنت أعجب من القائمين عليها كيف يهملون (علم التوحيد) ويسمون باسمه ويقيمون مقامه (شيئا) هو أبعد عن التوحيد من الأرض عن السماء) وقال (وكانت النتيجة أنه لم يبق اليوم للمسلمين فى معاهدهم ومدارسهم علم يبحث فى التوحيد القرآنى وليس فى الكتب التى تنسب الى هذا العلم ماهو كتاب توحيد حقا) وقال (اننى أرجو من أستاذنا

وصديقنا العلامة الأديب المصلح السيد الخضر شيخ الاسلام علما ومنصبا أن يأمر بتعديل المناهج والغاء هذه الكتب جملة واحدة وأن يجعل علـــم التوحيد مقصورا على افهام الطلاب آيات التوحيد فى القرآن) وقـــال (والذى يقرأ اليوم على أنه توحيد مما اشتملت عليه العقيدة النســـفية وأمثالها ، ولا أستثنى من ذلك رسالة الشيخ محمد عبده (لا يكاد يقوى عقيدة ولا يثبت ايمانا ولا يبعث فى النفس خشية الله ودوام مراقبتـه ولا يدفع الى اخلاص فى عباده) ولا يذيق صاحبه حلاوة ايمان يخاطب العقل بالمنطق وكان من حقه أن يخاطب القلب بالشعور وربما انتهى الى جـدل عقيم لا يلد فائدة ولا ينتج نفعا وأعجب مافيه رواية شبه أقوام انقرضوا وتلقين الطلاب (ظلالاتهم وكفرياتهم) التى لم يبق اليوم أحد على ظهـر الأرض يعرفها ويقول بها) ٠

وقال (وزاد البلاء أنه دخل فى التوحيد مسائل هى من فروع الفـروع كتفضيل بعض الخلفاء الراشدين على بعض ومسألة الخلافة وما الى ذلك من أمور لا تعدوا أن تكون معارك انتخابية تنقضى بانقضاء أيامها والله لا يسألنا عن الصحابة أيهم أفضل ولكن يسألنا عن أعمالنا ٠

وما دام (علي) نفسه قد بايع أبا بكر وعمر وأطاعهما فهل يكـــون بعض الناس اليوم وبعد انقضاء ثلاثة عشر قرنا على هذه المعركة علويا أكثر من على ابن أبى طالب ، هذا ما جاء فى كتاب فصول اسلامية) ولئن حمل الاستاذ على الكتب المقررة فى تلك الكليات الشاميـــة والعراقيـــة والمصرية أمثال النسفية ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده لئن حمـــل على تلك الكتب لمزجها بعلم المنطق ولكون مافيها كما يقول لا يكاد يقوى عقيدة ولا يثبت ايمانا ولا يبعث فى النفس خشية الله ودوام مراقبتـــه ولا يدفع الى اخلاص فى عبادة فانى أطمئن الأستاذ بأن الكتـــب التى تدرس لدينا ليست من هذا القبيل بل هى بعكس ذلك تماما ، فثلاثة الأصـــول ورسائل المشائخ وكتاب التوحيد وكشف الشبهات والعقيدة الواســطية كل هذه آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار عن الصحابة والتابعين مع شرح وتوضيح لمعانى تلك النصوص وليس فيها من قريب أو بعيد شـــىء من منطق أرسطو وأوضاع المتكلمين كما أن الفتوى الحموية والرسالة التدمرية وشرح الطحاوية هى أيضا مجموعة من نصوص القرآن والسنة وبيـــان لمذهب سلف الأمة وأئمة السنة فى شرح مبسط يناسب الدراسات العليـــا وهى بعيدة كل البعد عن طرق المتكلمين وأساليبهم ومجادلاتهم العقيمة ، وما ذكر الأستاذ عن أساطين المتكلمين وأئمة السنة فى ذم الكلام ومناهج أصحابه منصوص عليه فى الفتوى الحموية وشرح الطحاوية والتدمرية ٠

لكنها تشير الى أقوال المخالفين لمقتضى ما ورد فى الكتاب والسنة وأثر عن سلف الأمة فى باب التوحيد والاعتقاد وتذكر باختصار الى من ينتسب هؤلاء المخالفون لنصوص الوحيين مع بيان أهدافهم ومنبع مقالاتهم وتناقشهم مناقشة هادفة جلية : واذا فهناك فرق بين مناهج الفلاسفة وأوضاع المتكلمين وبين مناقشة آراء الواصليين والجعديين ومن جملة الأدلة على ذلك أن الامام أحمد ابن حنبل ، من جملة من نقل عنهم الاستاذ علي ، ذم الكلام ومع ذلك فهو القائل فى كتابه الذى صنفه فى الرد على الجهمية والزنادقة مانصه : (باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش) ، فقلنا لم أنكرتم أن يكون الله على العرش ؟ وقد قال جل ثناؤه (الرحمن على العرش استوى) وقال (خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) .

وقال (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفى السموات وفى الأرض وفى كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون فى مكان دون مكان وتلوا آية من القرآن (وهو الله فى السموات وفى الأرض) فقلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظم الرب شيء ، فقالوا : أى مكان : فقلنا أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظم الرب شيء قد أخبرنا أنه الله فى السماء فقال (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) وقال (اليه يصعد الكلم الطيب) وقال (انيمتوفيك ورافعك الي) وقال (بل رفعه الله اليه) وقال (وله من فى السموات والأرض ومن عنده) وقال (يخافون ربهم من فوقهم) . وقال (ذى المعارج) وقال (وهو القاهر فوق عباده) وقال (وهو العلى العظيم) .

فهذا اخبار الله أخبرنا أنه فى السماء ووجدنا كل شيء أسفل منه حيث يقول الله جل ثناؤه (ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) وقال (وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكون من الأسفلين) وقلنا لهم أتعلمون أن ابليس كان مكانه والشياطين مكانهم فلم يكن الله بمجتمع هو وابليس فى مكان واحد وانما معنى قوله جل ثناؤه (وهو الله فى السموات وفى الأرض) يقول هو اله من فى السموات واله من فى الأرض وهو على العرش وقد أحاط بعلمه مادون العرش ولا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله فى مكان دون مكان فذلك قوله تعالى (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) انتهى .

ومن عجب أن يقول الأستاذ الطنطاوى بعد ذم الكلام والمتكلمين الزائغين (وليس بعض من يسمون أنفسهم بالسلفيين على خير من هذه الحال فهم يشتغلون بالمتشابه الذى ضرب عليه امام السلف الصالح عمر بن الخطاب ولا دأب لهم الا الكلام فى اليد والوجه والاستواء ينكرون التأويل وهو من سنن العرب فى كلامها والقرآن أنزل بلسان العرب ولا يعرفون كيف يخرجون مما أدخلوا أنفسهم فيه من هذه المضايق فيقع الجهلة منهم بالتجسيم وهم لا يدرون ويأتون على ادعائهم السلفية بما لا يعرفه السلف من مثل قولهم ، الله بائن من خلقه والزامهم صغار الطلبة والمبتدئين بحفظ ذلك واعتقاده ٠

ويقول (ولما وصل المصرى الذى أرسله ابن العاص الى عمر ابن الخطاب ووجده يتكلم فى شىء يشبه علم الكلام اليوم بسؤاله عن معنى الاستواء وأمثال ذلك من المتشابه ضربه ونفاه وأمر الناس بمقاطعته مع أن ماضربه لأجله هو ماتمتلىء به كتب علم الكلام الذى سميناه علم التوحيد ، ومالك لما سئل عن ذلك عدا سؤاله بدعة وجوابه مشهور معروف ، ونهى أبو حنيفة ابنه عن مناظرة رجل كان يناظره فى القدر وأمره أن لايعود ومنع أصحابه عن الصلاة خلف رجل كان يتكلم فى خلق القرآن وآخر كان يرد عليه فقيل له الأول ينكر قدم القرآن فما بال الآخر ، قال ينازع فى الدين والنزاع فى الدين بدعة) ٠

نعم من عجب أن يتكلم بهذا الكلام ثم يقول بعد ذلك ان الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم وأخذ عنهم قد بادوا جميعا ، ولا يوجد على ظهر الارض اليوم من يقول بآرائهم ، وقد شارك الاستاذ الطنطاوى فى القول بأن آراء الجهمية والمعتزلة وأشباههم قد انقرضت ولا وجود اليوم لدعاتها ، شاركه فى هذا الرأى الدكتور حسن الترابى السودانى ، فقد صرح بذلك فى المحاضرة التى ألقاها فى يوم الاثنين الموافق ١٨-١٠-١٣٨٨ هـ بقاعة محاضرات كليتى الشريعة واللغة العربية فى أثناء كلامه على انتشار المبادىء الهدامة ، والحث على محاربتها ، وبالمناسبة فانى ألفت نظر الدكتور حسن الى هذه الغلطة التى وقع فيها كما وقع فيها قبله الاستاذ على ، وقد وردت فى هذه النصوص الطنطاوية مآخذ أعقب عليها بما يلى :

قوله (وليس بعض من يسمون أنفسهم بالسلفيين على خير من هذه الحال فهم يشتغلون بالمتشابه ولا دأب لهم الا الكلام فى اليد والوجه والاستواء ٠ هذا الكلام وثيق الصلة بما صرح به جميل صدقى الزهاوى عن جماعة من جملة السلف حين قال انها قد كفرت من زار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم متوسلا الى الله تعالى وعدت ذلك شركا فى الالوهية ، وخبطت كل

الخبط فى تنزيه الله تعالى حيث أبت الا جعل استوائه سبحانه ثبوتا على عرشه واستقرارا وعلوا فوقه وأثبتت له الوجه واليدين وبعضته سبحانه فجعلته ماسكا بالسموات على اصبع والأرضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والترب على اصبع ثم أثبتت له الجهة فقالت هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالأصابع الى فوق اشارة حسية ، وينزل الى السماء الدنيا ويصعد : وقوله (وينكرون التأويل وهو من سنن العرب فى كلامها والقرآن أنزل بلسان العرب فيقع الجهلة منهم بالتجسيم وهم لايدرون ويأتون على الدعائهم السلفية بما لايعرفه السلف من مثل قولهم (الله بائن من خلقه) هذا أيضا صنو ماعناه الزهاوى بقوله عن الجماعة السلفية ، أما ماتمسكت به من النقول التى تثبت الاشارة اليه تعالى فهى ظواهر ظنية لاتعارض اليقينيات فتؤول اما اجمالا ويفوض تفصيلها الى الله تعالى كما عليه بعض السلف ، واما تفصيلا كما هو رأى الأكثرين فما ورد من الاشارة اليه فى السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء وأن السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التى لم تكن أرضنا الحقيرة الا ذرة بالنسبة اليها وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه الى غير ذلك من التأويلات ٠

وفى الضياء الشارق أجاب الشيخ سليمان بن سحمان على هذه الاقوال المخالفة لصريح الكتاب والسنة وأقوال سلف الامة بجواب يشفي الغليل أقتطف منه مايلى : قد كان من المعلوم أن هذه الطريقة هى مقتضى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، وأقوال سلف الامة وأئمتها فيثبتون ماأثبته الله ورسوله وينفون مانفاه الله ورسوله ولا يعتقدون صواب ماذهب اليه المتكلمون من تأويل آيات الصفات وأحاديثها حيث قالوا ان نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية لاتعارض اليقينيات وما أشبه ذلك من التمويهات ، واذا كانت أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لاتعارض العقليات اليقينية فهلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الدهر أو أحد سلف الامة ان هذه الآيات والأحاديث ظواهر ظنية فلا تعتقدوا مادلت عليه ولكن اعتقدوا الذى تقتضيه عقولكم ومقاييسكم وأولوها بكذا وكذا) ٠

واليقينيات عنده نحاتة أفكار الفلاسفة وفروخ اليونان وورثة المجوس ، وأما كون الجماعة السلفية أبت الا جعل استوائه سبحانه ثبوتا على عرشه واستقرارا وعلوا فوقه ، فنعم وبذلك أنزل الله كتبه وأرسل رسله وأجمع على ذلك سلف الامة وأئمتها فهم يثبتون لله ماأثبته لنفسه من الأسماء والصفات وينفون عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات اثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل ٠

ثم استرسل الشيخ فى ذكر أقوال السلف بألفاظها الى أن قـال وروى أيضا أبن أبى حاتم أن هشام بن عبد الله الرازى صاحب محمد بن الحسن قاضى الرى الذى حبس رجلا فى التجهم فتاب فجىء به الى هشام ليطلقه فقال : الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام فقال : أتشهد أن اللــه على عرشه بأن من خلقه ، فقال : أشهد أن الله على عرشه ، ولا أدرى مابائن من خلقه ، فقال : ردوه الى الحبس فانه لم يتب وروي أيضا عن يحيى بن معاذ الرازى أنه قال : ان الله على العرش بائن من الخلق ، وقد أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا ، لايشك فى هذه المقالة الا جهمي ردىء ضليل وهالك مرتاب يمزج الله تعالى بخلقه ويخلط منـه الذات بالأقـذار والأنتــان ٠ وروي أيضا عن ابن المدينى لما سئل : ماقول أهل الجماعة ؟ قال : يؤمنون بالرؤية والكلام وأن الله فوق السموات على العرش استوى) فسئل عن قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) فقـال اقرأ ماقبلها (ألم تر أن الله يعلم مافى السموات وما فى الارض) ٠

وروى عبد الله بن أحمد وغيره باسناد صحيح عن ابن المبارك أنه قيـل له بماذا نعرف ربنا ؟ فقال بأنه فوق السموات على عرشه بائن من خلقـه ولا نقول كما تقول الجهمية انه ها هنا فى الارض وهكذا قال الامام أحمـد وغيره ٠ وقوله (وأعجب مافيه رواية شبه أقوام انقرضوا وتلقين الطلاب ضلالاتهم) نقول (ان الصفوف التى يدرس طلابها كتبا تزيف آراء الملحدين وتدحض شبهات المبتدعين وتبرهن على ذلك بأدلة من نصوص الوحيين وآثار الصحابة والتابعين والأئمة المهديين هى صفوف المرحلة العاليـة وليسـت صفوف الطلاب الناشئين ، هذا من ناحية ٠ ومن ناحية أخرى فلقد حكى الله مقالة فرعون وشبهات مشركى العرب وغيرهم من أصنـاف الكافرين وتولى الرد عليهـا :

قال تعالى (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ، أم أنا خير من هذا الذى هو مهـين ولا يكاد يبين ، الآية) وقال عز وجل (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) الآية ٠

وأمثال ذلك فى القرآن كثير ، ولو صح هذا لم يجز أن تكشف شبهة ملحد ولاتعرى بدعة مبتدع ، ولقد تحدث الشيخ علي عن هذا بقوله (ولاتشتغلوا جميعا بمناظرة أهل تلك المذاهب الضالة لا خوفا منهم فالاسلام لايخاف من مناظرة أحد ولكن خوفا على جهدكم ووقتكم وليتفرغ لهم من كبـاركم ممن قوي فى العلم وتمرس فى الجدل) ومن المعلوم أن كلام الطنطاوى هذا ليس

موجها الى طلاب كلية الهندسة والبترول والاقتصاد والتجارة والطب والزراعة وقوى الأمن والطيران ولكنه موجه الى الذين يريدون التخصص فى علوم الشريعة وأصول الدين ، تناقض مالنا الا البيان له ، وقوله (ونهى أبو حنيفة ابنه الى آخره) هذا أيضا من غريب الاستدلال فهل يظن الشيخ أن أبا حنيفة وغيره من الأئمة لاينكرون المنكر ولا يزيفون البدعة سئل أبو حنيفة عمن قال لاأعرف ربى فى الارض أم فى السماء فقال هو كافر لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وسئل عمن يقر بالاستواء على العرش ولكنه يقول لاأدرى العرش فى السماء أم فى الارض قال : هو كافر : لأنه أنكر أن يكون فى السماء ، وروى مسلم وأبو داود أن يحيى ابن يعمر قال لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن انه ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم ، يزعمون أن لاقدر وأن الأمر أنف فقال : اذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى منهم برىء وأنهم منى براء كما تقدم ذكر تعنيف أميرالمؤمنين عمر ابن الخطاب والامام مالك بن أنس لمن سأل عن كيفية الاستواء ، ولقد قال الشيخ الطنطاوى نفسه فى معرض الرد على طه حسين (وأنا لم أقرأ ماكتب ولا ماكتب عنه ولا أحتاج الى قراءته لانها ليست مناظرة علمية فى مسألة لها وجهان لابد فيها من معرفة مقالالخصم للرد عليه) نعم أما انكار المنكر بمثله ورد البدعة ببدعة فهذا شىء لاجدال فى بطلانه ولا يقول به أحد من سلف الامة وأئمة السنة) ٠

وقوله (وما الى ذلك من أمور لاتعدو أن تكون معارك انتخابية تنقضى بانقضاء أيامها) كلام بليغ وأسلوب رائع ولكنيحضرنى بالمناسبة قول أحد أئمة السنة (عليك بآثار من سلف وان رفضك الناس واياك وآراء الرجال وان زخرفوا لك بالقول) ٠ فالشيخ يعنى فى جملة مايعنيه قول ابن تيمية فى الواسطية (ويمسكون عما شجر بين الصحابة) ومن المعلوم أن الغلو فى آل البيت لاتزال آثاره موجودة فى الشيعة الى اليوم ، ولا يزال يوجد من الكتاب من يطلق لقلمه ولسانه العنان فى سب الصحابة والطعن فيهم ولو صح هذا لجاز أن يقال أن بيعة الشجرة لاتعدوا أن تكون اجتماع قائد بجنوده ومبايعتهم له فى قضية معينة انتهت فى وقتها ولا أثر لها بعد ذلك ولقد قال الله عز وجل (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما) ٠

وقد سبق الكلام فى التأويل فلا نطيل باعادته ولكن نكتفى هنا بذكر حكم

الطنطاوى على نفس كلامه هو حيث يقـول فى الفصول (وأنـه ليس لهـذا الكلام ظاهر وباطن مافيه الا مايدل عليه ظاهره) فمعنى هذا انما يقولـه كلام واضح بين لايحتـاج الى تحريف المؤولين وانتحـال المبطلين ، وأمـا نصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بباب الأسماء والصفات أو بعضها فهو فى حاجة الى التأويل وهذا ما تقر به أعين باطنية الشيعة الذين يقولون فى عموم النصوص ان لها باطنا يخالف ما يفهمه المسلمون منها فهى عبارة عن ألغاز وأحاجى ورموز واشارات لا يفهمها الا الباطنية تعالى الله عما يقول المفترون علوا كبيرا ، ومن المعلوم أن الشيخ عليا لا يوافقهـم على هذا الرأى الفاسد بل يخطئهم فى ذلك ويرد عليهم .

وقوله : وقالوا بأن كلامه بحرف وصوت معناه أن الشـيخ الطنطـاوى يرى أن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى أن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وهذا رأى الأشاعرة حيث يقولون ان هذا الموجود المقروء عبـارة عن كلام الله كما أن الكلابية يقولون حكاية عن كلام الله وهذا القول يلزم عليـه أن كل تال معبر عما فى نفس الله والمعبر عن غيره هو المنشىء للعبـارة فيكون كل قارىء هو المنشىء لعبارة القرآن وهذا معلوم الفساد بالضرورة فـان كلام الله سبحانه سور وآي وكلمات وكل ذلك حروف وهو مسموع منـه على الحقيقة ، سمعه منه جبريل وسمعه من جبريل رسول الله وسـمعه من رسول الله صحابته الكرام وبلغوه الى العباد . وقد ذكر الشيخ بن رشيد فى شرح الواسطية مايلي : ولم يقل أحد من السلف ان جبريل أحدث ألفاظه ولا محمد ولا أن الله خلقها فى الهواء أو غيره من المخلوقات ولا أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ الى غير ذلك من الأقوال المبتدعة بل أهل السـنة يقولون ان القرآن عين كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعانى ولا المعانى دون الحروف عكس ماعليـه أهـل البدع من المعتـزلة والأشاعرة والكلابية وغيرهم لأن كلام المتكلم هو عبارة عن ألفاظه ومعانيه والدليل على أنه حروف حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم اقرأوا القرآن قبل أن يأتى قوم يقيمون حروفه اقامة السـهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون آخره ولا يتأجلونه ، رواه أحمـد وأبو داود والبيهقى فى سننه والضياء المقدسي فى المختارة عن جابر ، وقال أبو بكـر وعمر رضى الله عنهما : اعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه ، وقال على رضى الله عنه : من كفر بحرف منه فقد كفر به كلـه واتفـق المسلمون على عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه ولا خـلاف بين المسلمين فى أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حـرف ، متفق

عليه أنه كافر وفى هذا حجة قاطعة على أنه حروف ، انتهى ·

وفى النصوص الطنطاوية من المآخذ سوى ما ذكرت ولكن لا حاجة الى الاطالة بالرد عليها وفى القرآن الكريم والأحاديث النبوية وتفاسير السلف وكتب السنة من بيان الحجة ودحض الشبهة مافيه الكفاية للمستبصرين ·

وبعد هذا الاستطراد الذى استدعاه المقام أرجع فأقول : ولعل ماتعرضنا له هنا مما جاء فى العقيدة الاسلامية وأسسها للشيخ الميدانى ، وما جاء فى كتاب النصوص الميسرة لليازجى بل وما ذكرناه مما جاء فى فصول اسلامية للطنطاوى ذاته يؤكد الحقيقة القائلة بأن لكل قوم وارثا سواء بالنسبة للجهمية والمعتزلة أو من وافقهم فى شىء وخالفهم فى شىء آخر كأتباع أبى الحسن الأشعرى وأبى سعيد الكلابي ، فان المذاهب الفكرية المضادة والفلسفات العقائدية الزائغة ما زالت سارية فى الناس عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل والى أن تقوم الساعة وفى ذلك امتحان من الله لعباده ولله فى خلقه شؤون ·

وعلى سبيل المثال أذكر هنا ماقرره محمد بن على الشهرستانى فى كتابه (المللوالنحل) : قال رحمه اللهتعالى : وأول شبهة وقعت فىالخليقةشبهة ابليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأى فى مقابلة النص ، واختياره الهوى فى معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التى خلق منها ــ وهى النار ــ على مادة آدم عليه السلام ــ وهى الطين ــ وانشعبت من هذه الشبهة عدة شبه سرت فى أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال وأصبحتتلك الاعتراضات بمثابة البذور ، وظهرت منها الشبهات كالزروع ، فمقالات أهل الزيغ لاتعدو شبهة ابليس وان اختلفت العبارات وتباينت الطرقويرجع جملتها الى انكار الأمر بعد الاعتراف بالحق والى الجنوح الى الهوى فى مقابلة النص ، هذا ، ومن جادل نوحا وهودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ، كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول فى اظهار شبهاتهم ، فحاصلها يرجع الى دفع التكاليف عن أنفسهم وجحد أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم اذ لافرق بين قولهم « أبشر يهدوننا » وبين قوله « أأسجد لمن خلقت طينا » فالشيطان لما أن حكم العقل على من لايحتكم عليه العقل لزمه اجراء حكم الخالق فى الخلق وحكم الخلق فى الخالق والأول غلو ، والثانى تقصير فثار من الشبهة الأولى مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض ، حيث غلو فى حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال · وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية فالمعتزلة غلو فى توحيدهم حتى وصلوا الى التعطيل بنفي الصفات والروافض غلو فى النبوة والامامة حتى

وصلوا الى الحلول · وقد قال تعالى « ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » انتهى ·

واذ فالشيوعية والصهيونية والصليبية والقاديانية والبهائية والتيجانية والقومية والفوضوية والشعوبية · هذه المبادىءالهدامة والتيارات العصرية الخطيرة ليست فى واقعها شيئا طرأ على الوجود ولا وليداً استهل بعد العدم وانما هى فى حقيقتها امتداد النهر من البحر وانبثاق الفرع عن الأصل وبروز الجزء من الكل ، والمهم فى الموضوع هو القدرة على رد النهر الى منبعه وربط الفرع بأصله وشد البعض الى كله والمعلم يستطيع من خلال ثقافته واطلاعه أن يربط الحاضر بالماضى فى يسر وسهولة ·

فعند ذكر الفطرة والأدلة النقلية والعقلية على وجود الخالق وربوبيته (فطرة الله التى فطر الناس عليها) ·

« أفي الله شك فاطر السموات والارض » : « كل مولد يولد على الفطرة » « خلقت عبادى حنفاء » (ومن آياته الجوارى فى البحركالأعلام) ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) وذكر شرك المجوس القائلين بالاثنين وأن من جملتهم فرقة مزدك الذى قال عنه الشهرستانى : كان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والأموال ، أحل النساء والأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلاء قال فى حاشية الملل نقلا عن ابن خلدون « مزدك الزنديق كان اباحيا وكان يقول باستباحة أموال الناس وأنها فيىء وأنه ليس لأحد ملك شىء ولا حجزه والأشياء كلها لله مشاعا بين الناس لا يختص بها أحد وقد أمر مزدك أصحابه بتناول اللذات والعكوف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والمواساات والاختلاط وترك استبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة فى الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه ، ولهم مذهب فى الضيافات ليس هو لأحد من الأمم اذا أضافوا الانسان لم يمنعوه منشىء يلتمسه كائنا ما كان » عند ذكر ذلك كله تبرز أمامه فكرة « كارل ماركس » التى نادى بها واستطاع لينين ورفاقه أن يضعوها موضع التنفيذ بالنار والحديد على أنقاض نظام الدولة القيصرية قبل خمسين سنة خلت : وعند ذكر عموم الرسالة وما وصف الله به اليهود (حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق) ولا يزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا) (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود)

(وقالت اليهود يد الله مغلولة) (ان الله فقير ونحن أغنياء) (نحن أبناء الله وأحبائه) · وذكر الحلول العام ومقالة التعطيل عند الجهمية والتى ينتهى سندها الى لبيد ابن الأعصم اليهودى وذكر الحلول الخاص والغلو فى آل البيت الذى حمل لواءه عبد الله بن سبأ اليهودى والذى لاتزال آثاره موجودة الى اليوم تبرز أمامه برتكولات حكماء صهيون وهى القرارات الجهنمية المنبثقة عن مؤتمر مدينة « بال » بسويسرا عام ١٨٩٧ م والتى ترجمها الى العربية وقدم لها مقدمة ممتازة الأديب التونسى محمد خليفة وهىتكشف ماعند الصهيونيةاليهودية المعاصرة من خبث ومؤامراتودس وغطرسة ومحاولة للسيطرة على العالم ·

وعند ذكر شرك النصارى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) تبرز أمامه الصليبية الحاقدة بجمعياتها التبشيرية وما تبذله فى أنحاء العالم من جهود جبارة فى سبيل التنصير وعند بحث الحلول الخاص عند النصارى وبحث اقامة الجهاد مع كل امام برا كان أو فاجرا وأن ذلك من أصول أهل السنة وبحث ختم النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام عند ذلك تبرز أمامه القاديانية وفرعها الأحمدية بزعامة غلام أحمد القاديانى الذى ادعى أن كلا من روح عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام حلت فيه فصار بذلك نبيا مزدوجا شرع فى جملة ما شرع اسقاط الجهاد وعند بحث الصوفية المنحرفة والحلولية الكافرة والاباحية الملحدة التى تقول باسقاط الواجبات واباحة المحظورات تبرز أمامه البهائية بزعامة على محمد الشيرازى الذى يقول بأن على ابن أبى طالب هو محمد النبى وهو المرءات التى يتجلى فيها الله ويقول عن نفسه انه باب العلم بالحقيقة الالهية ، وعلى هذا الأساس لفق دينا من عنده باسم الاصلاح الدينى ، وقد أخذ عنه حسين على الموصوف ببهاء الله واليه تنسب هذه الفرقة ، وعند بحث الشعوذات الطرقية والتوسلات الشركية والخرافات الصوفية تبرز أمامه التيجانية المنسوبة الى أحمد بن محمد مختار تيجانى شيخ الفرقة وكل واحدة من هذه الفرق عندها من تحريف الكلم عن مواضعه والتلاعب بالنصوص ماهو مأخوذ فى أصله عن الباطنية المخيلة باطنية الشيعة وباطنية الصوفية : وعند ذكر الأمر بالجماعة والاتحاد والنهى عن الفرقة والاختلاف (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) يبدو أمامه بطلان العنصرية وفسادها وخطر الفوضوية وضررها وأن الجامعة الأوسع والأنفع هى جامعة الاسلام والرابطة الأقوى والأوثق هى رابطة الايمان وأن الأمن والرخاء والنصر على الأعداء وسعادة الدنيا والآخرة

كل ذلك يكمن فى لزوم طاعة الله ورسوله وتنفيذ أوامر القائد فى المعركة والالتفاف حول الحاكم المسلم وعدم شق عصا الطاعة وعند ذكر وصف القرآن بالبيان والوضوح فلا يحتاج الى تحريف المؤولين (بلسان عربى مبين) تبدو أمامه الشعوبية التى تروج اللهجات السوقية المحلية وهى العامية بمختلف الأساليب وأن من أهدافها القضاء على لغة القرآن ٠ وعند ذكر القدرية التى حمل لواءها سوسن النصرانى وأخذها عنه معبد بن خالد الجهنى وذكر الجبرية التى حمل لواءها الجهم ابن صفوان نفسه تبرز أمامه القدرية والجبرية المعاصرة والمتمثلة فى أهل الكسل والبطالة والتمرد على أوامر الله ورسوله وارتكاب الجرائم ، فهم حينما يؤمرون بالطاعة قدرية وعندما يلامون على الجريمة جبرية ٠

ولا أحد يستطيع أن يدعى بأنه لا يوجد بين الناس اليوم من يعتنق هذين الرأيين الفاسدين فهم كثير وكثير كما لايستطيع أحد أن ينفى وجود الشرك اليوم بعبادة الآوثان أو القول باللسان والخرافات والبدع ذات الأشكال والألوان ويكفى للتدليل على ذلك أن أذكر مايلى : يقول محمد المهدى الحسينى الشيرازى فى كراسه الذى لفق فيه حكايات مكذوبة مناقضة لصريح الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة فى باب الاعتقاد والعمل والمنشور فى عام ١٣٨٨ هـ عن الشيعة ما نصه : كما أنهم يرون جواز زيارة القبور وبناء المراقد عليها والصلاة عندها والتوسل الى الله سبحانه بجاه صاحب القبر : قال ابن الخلال شيخ الحنابلة (ما همنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به الا وسهل الله تعالى لى ما أحب) وقال الشافعى (قبر موسى الكاظم الترياق المجرت) انتهى ٠ ويقول عميد كلية اللغة العربية بالرياض الشيخ عبد الله التركى فى المقال الذى نشرته جريدة الدعوة بتاريخ ٦ ـ ١ ـ ١٣٨٩ هـ عن غرب أفريقيا مانصه : وفى المنطقة ظاهرة أخرى وهى انتشار الخرافات والسحر والشعوذة والاعتقادات الباطلة فكثيرا ما تلاحظ التمائم معلقة فى الرقاب والحروز على الصدور وأخبار السحرة والدجالين منتشرة فى المنطقة وهى وسيلة كسب لأصحابها يتوارثونها وهكذا كلما قلت المعرفة بالاسلام الصحيح وضعف الاعتقاد بالله والاعتماد عليه كثرت الخرافات وضعف كيان المرء أمام كل شىء وتوهم أن غير الله ينفع ويضر وأصبح ألعوبة فى أيدى الشياطين أعاذنا الله من ضعف الايمان وحصننا من كل شر وشملنا برحمته الواسعة ، انتهى ٠

ويقول معالى وزير المعارف الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ فى المقال الذى نشرته جريدة البلاد بتاريخ ٢٣ ـ ١٢ ـ ١٣٨٨ هـ تحت

عنوان (خواطر جريئة) مانصه : يا اخواننا فى مصر نحن نعيش اليوم معكم مواجهتكم الصادقة للعدو الغاشم على طول القناة ونرمق باعجاب صمود رجالكم تحت وطأت الاعتداءات الدائمة ونأسف لفقد رئيس أركان القوات المسلحة الفريق (عبد المنعم رياض) وان كان قد قضى نحبه شهيدا فى سبيل الله ، لكننا نعتب عليكم وأنتم تعيشون لحظة المواجهة الحاسمة مع العدو أن يرتفع من اذاعاتكم صوت لايرضاه الله يصرح بالاشراك به ودعاء غيره فقبل خمسة أيام ارتفع صوت عبد الوهاب من اذاعتكم ينادى يارسول الله أغثنا أدركنا ، واستمر فى ندائه فترة غير قصيرة وكأنه يتحدث من اذاعة دولة لا تدين بالاسلام ، فالاستغاثة لاتكون الا بالله وحده وهو القادر على الغوث والانقاذ ورسول الله قد أنكر على من قال « ماشاء الله وشئت » أجعلتنى لله ندا بل ماشاء الله وحده وقال اذا استعنت فاستعن بالله واذا سألت فاسأل الله ثم سمعت ليلة الثلاثاء أنشودة من اذاعة القاهرة عنوانها « قسما بمصر » وسمعت أنشودة أخرى منها قسما بالنيل وبالثورة وقسما بك يابلدى الحرة قسما بسمائى وهوائى قسما بدمائى شهدائى قسما بالأرض وبالمدفع قسما بالشعب وما يصنع قسما بالكلمة والنغمة قسما بالحب والبسمة الخ ..

والقسم لايكون الا بالله أو ليصمت وقال (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) وقال تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) وفى فاتحة الكتاب قوله تعالى : (اياك نعبد واياك نستعين) وانطلاقا من لقاءنا المشترك فى الاسلام والعروبة كان هذا الحديث مع أصدق دعواتنا بنصر الله ، انتهى .

والكلام على المبادىء الهدامة يحتاج الى أزيد مما ذكرت ولكننى لم أقصد التحدث عنها بالتفصيل وانما الغرض هو بيان ارتباط حاضرها بماضيها وعدم انفصال أحدهما عن الآخر .

ولنرجع الى الحديث عن قضية الكتب التى مضى على تأليفها أكثر من ستمائة سنة . ان الاستاذ على يؤيد الكتب القديمة كمصدر ضرورى للثروة العلمية وغزارة المادة بالنسبة للغة العربية وآدابها بل وبالنسبة لسائر العلوم وفيما يلى اثبات هذه الحقيقة :

١ – يقولو فى كتابه « الفصول » متحدثا عن ما قاله « طه حسين » بصدد الأزهر : أما الطرائق القديمة فى الأزهر فهل سمعتم بنظام أوكسفورد وكامبردج ؟ ان فيهما الى اليوم من الطرق والأساليب فى معاملة الطلبة وترتيب حلقاتهم وحياتهم الداخلية ، مالا يختلف عن أنظمة « التكايا » والمدارس الشرقية من مئة سنة الا بأنه أفظع وأقسى من كل ما كان فى التكايا والمدارس فهل يجرء طه حسين أن يذهب الى الانكليز فيقول لهم :

أغلقوا « كامبردج وأوكسفورد » انهم يضعونه فى عربة المجانين فيحملونه فيلقونه فى البحر ليسبح حتى يبلغ مصر فيقول ذلك فيها : ثم قال وبعد فأنا أعرف أن طه حسين مولع بالخلاف منذ كان طالبا فى الأزهر فاستطال عليه طريق التحصيل فتركه وقفز من فوق السطوح كى يبلغ الغاية بلا كد ولا تعب الى أن صار (شيئا) كبيرا يشار اليه بالبنان ويعجب بـه الأغرار والشبان وأنه مانال مانال من ذيوع الاسم وعلو المنصب الا بهذا ·

ويخاطب طلاب الأزهر فيقول : وعليكم بكتبكم لايزهدكم بها ويصرفكم عنها عداوة أقوام لها وسخرهم منها ونبزهم اياها بالكتب الصفراء فما فى الصفرة عيب والذهب أصفر مذ كان الذهب ولكن العيب أن نكون عونا للعدو على أنفسنا ولقد رأى العدو عظمة المكتبة الاسلامية فحسدنا عليها فعمل على صرفنا عنها وما أظن أن البشر صنع شيئا أعظم منها ·

٢ ـ وفى ليلة ٢٩ ـ ٩ ـ ١٣٨٨ هـ فى حديثه على مائدة الافطار تكلم عن علماء فحول متضلعين فى اللغة العربية وآدابها ممن عاصر من الأعـلام الذين مضو وتساءل قائلا : من سيخلفهم ومن سيخلف البقية الباقية وشدد على التضلع فى اللغة وقال لغتكم فى خطر وذكر أن الأمم تحرص على لغتها وتراثها ومثل بالانجليز ومحاولتهم فرض لغتهم على ربع العالم وقال ان من الشعر القديم مامضى عليه ألف وخمسمائة سنة وهو لا يزال حيا كأنه قيل فى هذا العصر لجماله وروعته وخصوبته : كما أنحى باللائمـة على الذين يحاولون التجديد من أصحاب الشعر الحر واللغة العامية وقال ان أصحاب المؤلفات الجديدة يدعون أنها أيسر وأسهل وفى ذلك ضياع للتعمق فى اللغة العربية والتضلع فى آدابها وقد قال كلمة حق وقولة صدق ولكـن لماذا لا يقول الأساتذة هذا الكلام بالنسبة لمؤلفات العقيدة السـلفية التى طابعها روح القرآن وجوها جو السالة ومن سيتصدى للزائغين والملحدين اذا لم يقرأ طلاب كلية أصول الدين والشريعة الكتب القديمة ويتمرسوا على أساليبها لتتكون عندهم غزارة المادة وقوة الملكة التى يستطيعون بها أن يهضموا ما يقرأون ويفهموا ما يسمعون : لقد مثل الاسـتاذ بشوقى والأخطل الصغير والرافعى وزكى مبارك وتساءل من يخلف هؤلاء نثرا وشعرا وأقول هل يمكن لمن يراد منه أن يخلفهم أن يقرأ سوى الكتب القديمة (صبح الأعشى) (نهاية الأرب) (كامل المبرد) (البيـان والتبيين للجاحظ (ديوان امرء القيس) وزهير والفرزدق وجرير والمتنبى والبحترى وأمثال هذه المؤلفات بالاضافة الى (العقاديات) و (الرافعيات) (والحسينيات) وأمثال هذه المؤلفات الحديثة اذا قلنا هذا بالنسبة للأدب العربى فلماذا لا نقول ذلك بالنسبة للكتب السلفية هل يمكن لغير من قرأ

أمثال (كتاب التوحيد) و (الواسطية) (ولمعة الاعتقاد) و (كشف الشبهات) و (الحموية) و (التدمرية) و (الطحاوية) الى آخر المختصرات السلفية المعروفة الى جانب قراءته (لمفتاح دار السعادة) و (شفاء العليل) و (كتاب القدر) و (العقل والنقل) و (الصواعق) و (منهاج السنة) و (اقتضاء الصراط المستقيم) و (الملل والنحل) و (الفرق بين الفرق) و (مقالات الاسلاميين) وأمثال تلك المصنفات : هل يراد لمن كان ضحل المادة هزيل الحصيلة العائش على فتات موائد الكتب الجديدة أن يرد على (الشيوعيين والبهائيين والقاديانيين والقوميين و الصهيونيين والصليبيين والتجانيين) وأمثالهم من المنحرفين الزائغين عن سبيل المؤمنين ، اننا نريد من كلية العلوم الشرعية بالرياض والمعاهد العلمية ودار التوحيد ، وكلية العلوم الشرعية بمكة ، والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، اننا نريد من هذه الدور العلمية أن تكون حصون منيعة لسلفية الاعتقاد وفقه الشريعة تخرج العلماء المتعمقين فى علم الشريعة وأصول الدين كما نريد (من كلية اللغة العربية وكلية الآداب) أن يكونا قلعة حصينة للغة العربية وآدابها تخرج العلماء المتضلعين فى اللغة العربية وآدابها : اذا نحن نؤمن بالتخصص كأمر ضرورى حتمى لسد حاجة الأمة فى شتى النواحى ، فكما نريد للاقتصاديين والتجاريين ، والمهندسين والأطباء ، والزراعيين ، والعسكريين والطيارين والصناعيين ، كما نريد لهؤلاء أن يتغزروا ويتعمقوا كل فى مادته وحقل اختصاصه يجب أن نقول ذلك بالنسبة لعلماء الشريعة وأصول الدين ان تيارات الزيغ والالحاد وموجات الشرك والخرافة قد أخذت تحوم حولنا بعد أن ضلت بعيدة عنا مدة من الزمن تزيد على القرنين واننا بحاجة الى أمثال (الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ) والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ، وغيرهم من أهل القدرة على قمع البدعة ودحض الشبهة بالحجة والبرهان وقوة البيان ، واننا نتساءل من سيخلف هؤلاء الذين مضوا ومن سيخلف البقية الباقية من علمائنا الأفاضل فى غزارة علومهم وسعة اطلاعهم ومؤلفاتهم ورسائلهم السلفية وتصديهم لفتيا الناس . أما القول بأن مذاهب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والخوارج والشيعة قد انقرضت ولا يوجد بين الناس اليوم من يقول بها فتلك خرافة يجب أن تقابل منا بايضاح الحقيقة وبيان الواقع ، على أن للاستاذ الطنطاوى والأستاذ الميدانى فضلا لا ينكر ومقاما طيبا فى مجال الدعوة الاسلامية يشكر ولكن جل من لاعيب فيه وعلا وبالمناسبة أسجل هنا ما ذكره شيخ الاسلام عن جماعة ممن انتحلوا وجهة المعتزلة والأشاعرة فى باب الصفات ونصه : انه مامن هؤلاء الا وله فى الاسلام

مساع مشكورة وحسنات مبرورة وله فى الرد على كثير من أهل الالحـاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين مالا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وانصاف لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة وهم فضلاء عقلاء احتاجوا الى طرده والتزام لوازمه فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ماأنكره المسلمون من أهل العلم والدين وصار الناس بسبب ذلك فيهم فريقين منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل ومنهم من يذمهم لما وقع فى كلامهم من البـدع والباطل وخيار الأمور أوساطها والله يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات قال تعالى (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) . وفى هذا المعنى يقول الاستاذ الطنطاوى نفسه فى كتابه الفصول مايلى ثم : نجمت فى الأمة طائفة ، المتكلمين من المعتزلـة ، وقد أجمعت كلمة العلماء فى عصر نشأتهم على انكار بدعتهم وتقبيح نحلتهم علىماكان لهم من اخلاص فى نية الذب عن الاسلام وثبات فى مواقف الدفاع وبصر بصناعة الجدل وماكان لهم من سعة علموحدة نظر وروعة بيان ، انتهى .

والى هنا ينتهى هذا التعليق على النصوص الميدانية والطنطاوية والله أسأل أن ينفع به كل من اطلع عليه وأن يجعله خالصا لوجهـه الكريم ليكون من ذخائر الأعمال النافعة يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . كما أسأله سبحانه أن يمن على الجميع بالهداية لأقوم طريق وأهدى سبيل انه على كل شىء قدير . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين متعاقبين مادامت السـموات والأرض وتعاقب الليل والنهار .

فهرس الرسالة

« طبع على نفقة : عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح »

« وقفـــا للــــه تعــالى »

طبعت بمطابع وزنكوغراف مؤسسة الجزيرة - الرياض - الناصرية